المرصاد: هدية فكرية بمناسبة الرابع والعشرين من شهر أسد

الهدية الفكرية

مؤسسة المرصاد للنشر

خصائص الكتاب

اسم الكتاب: هدية المرصاد الفكرية
بمناسبة الرابع والعشرين من شهر أسد
المؤلفون: مجموعة من المؤلفين
الموضوع: قيمة الحرية، الخوارج
المعاصرون، الوضع السياسي الراهن،
وموضوعات أخرى ذات صلة
اللغة: العربية
العدد: الخامس
الجهة المقدمة: مؤسسة المرصاد للنشر

الهَدِيَّةُ الفِكرِيَّة

مجموعة من البحوث والدراسات والتحقيقات والمقالات والمؤلفات الدينية والتاريخية والسياسية، التي أعدّها عدد من الكتّاب الإسلاميين، والعلماء البارزين، والمحللين والباحثين، حول الأوضاع السياسية الراهنة في العالم المعاصر، ولا سيما في البلدان الإسلامية، والمخططات الشريرة التي تُدبّرها القوى الكفرية والصليبية العالمية ضد المسلمين، والأحداث المحتملة، والتحديات، والتنافسات، والفتن المعاصرة، والخوارج الدواعش، وكذلك الظواهر والأفكار والحركات الباطلة الجديدة الأخرى.

العدد: الخامس

مؤسسة المرصاد للنشر

الفـهـرس

1 التعليق الشهري للمرصاد: انعدام الأمن القائم في باكستان نتيجة للسياسات الخاطئة للدوائر العسكرية (1)

2 التحليل الأسبوعي للمرصاد: الحرب النفسية والدعائية؛ الاستخدام المشترك بين باكستان وداعش (3)

3 الفصل الأول: أبطال الأمة (10)

4 نظرة موجزة إلى حياة وإنجازات الشهيد منصور، رحمه الله (11)

5 نظرة موجزة إلى حياة وإنجازات الشهيد مجيب الرحمن أنصاري، رحمه الله (14)

6 نظرة موجزة إلى حياة وإنجازات الشهيد خليل الرحمن حقاني، رحمه الله (19)

7 الفصل الثاني: الرابع والعشرون من شهر أسد (24)

8 الحرية والاستقلال في نظر الإسلام (25)

9 جرائم ووحشية الغزو الصليبي في أفغانستان (31)

10 الحركة الإسلامية لطالبان منذ تأسيسها حتى الرابع والعشرين من شهر أسد 1400هـ (42)

11 الجدول الزمني للفتوحات (46)

12 سقوط الجمهورية وعودة حكم الإمارة الإسلامية (47)

13 إنجازات الإمارة الإسلامية خلال السنوات الخمس الماضية (50)

14 الفصل الثالث: الخوارج المعاصرون (57)

15 بعد الفتح؛ نجاح الإمارة الإسلامية في مواجهة داعش (58)

16 لماذا يفضّل الخوارج قتل المسلمين على قتال الكفار؟ (60)

17 قدسية الهجرة واستغلال داعش السيئ لها (66)

18 ظهور تنظيم داعش وخلفيته في الصومال ! (69)

19 الفصل الرابع: كتابات دينية وجهادية (71)

20 غرناطة بالأمس، وغزة اليوم؛ معركة بقاء آخر معاقل الإسلام ! (72)

21 ثأر دم عز الدين حداد ومسؤولية العالم الإسلامي (76)

22 وحدة الجهل والاستكبار؛ من طهران إلى كنر، استراتيجية مشتركة لـ«قتل العلم» (78)

23 الشعب الباكستاني الغيور في أسر النظام العسكري الطاغوتي ! (80)

24 قتل الأبرياء في نظر الإسلام (82)

25 الفصل الخامس: كتابات سياسية (85)

26 المعاهدة الدفاعية لمكة؛ حقيقة استراتيجية، وقوة ردع قائمة على الورق، وموازين متغيرة في المنطقة (87)

27 المصلحة الاستراتيجية للجيش الباكستاني والفصل الدموي من التاريخ؛ من سبتمبر الأسود إلى العصر المعاصر (91)

28 الجيش الذي يعادي المسلمين في جوهره ! (95)

29 انتفاضات اليوم هي حصيلة حساب عقود القمع خلال السبعين عاماً الماضية ! (100)

30 دور باكستان في إشعال الصراعات القومية بواسطة الميليشيات (105)

31 مقتل القاضي الصارم عبد الحكيم كاكر على يد داعش في مواجهة إدارة مكافحة الإرهاب الباكستانية (CTD)؛ ما الذي يقف وراء ذلك؟ (107)

32 لماذا فشلت وكالة الاستخبارات المركزية (CIA) في أفغانستان؟ تقرير خاص للجزيرة (113)

التعليـــق الشهـــري للمرصـــاد

انعدام الأمن القائم في باكستان نتيجة للسياسات الخاطئة للدوائر العسكرية !

خلال العقدين الماضيين، كانت الهجمات وأعمال انعدام الأمن الجارية في باكستان نتيجة لأزمة سياسية طويلة ومعقدة وسياسات خاطئة، تعود جذورها إلى فترة حكم الجنرال برويز مشرف. فقد دعم مشرف الاحتلال الأمريكي لأفغانستان، مما أدى إلى وقوع انتهاكات واسعة النطاق وأعمال قمع وانتهاكات لحقوق الإنسان في المناطق القبلية الباكستانية. وبسبب هجمات الطائرات المسيّرة والقصف والعمليات العسكرية في هذه المناطق، اختفى آلاف الشباب القبليين واستشهدوا، كما أجبر السكان على النزوح من منازلهم وقراهم ووطنهم.

لقد ضحّت باكستان باستقرار منطقتها إرضاءً للولايات المتحدة، ولم تضر هذه السياسات باستقرار المنطقة فحسب، بل أسست أيضاً لعدم الاستقرار في المنطقة مقابل الدولارات التي حصلت عليها باكستان من الولايات المتحدة. وتُعد هذه السياسات الخاطئة في الوقت الراهن السبب الرئيسي لانعدام الأمن المستمر في باكستان. وقد ازداد الوضع الأمني الداخلي في باكستان خلال عامي ٢٠٢٢-٢٠٢٣ بصورة غير مسبوقة، ومن أبرز الأمثلة على ذلك الهجمات الأخيرة التي شنّتها حركة طالبان باكستان والانفصاليون البلوش في خيبر بختونخوا وبلوشستان، والتي تكبدت خلالها قوات الأمن الباكستانية خسائر فادحة وكبيرة.

ومن جهة أخرى، إذا كان النظام العسكري الباكستاني يدّعي أن عشرات المسلحين قُتلوا خلال عملياته، فإن هذه الهجمات تكشف عن نقاط الضعف الداخلية والأزمات السياسية. فالدوائر العسكرية الباكستانية، التي تريد استمرار حالة انعدام الأمن، لا تختار طرقاً معقولة ومنطقية لحل المشكلات بين أفغانستان وباكستان. وبدلاً من ذلك، تحاول إخفاء مشكلاتها الداخلية، مثل الصراعات مع الأحزاب السياسية، والاستيلاء على السلطة، وسجن بعض القادة السياسيين، والأزمات الاقتصادية، وتأجيج استمرار انعدام الأمن، وتبحث عن عوامل خارجية. ولذلك اختار الجيش الباكستاني سياسة الحرب والضغط بدلاً من المفاوضات.

وفي المقابل، ظلت الإمارة الإسلامية، في سياق العلاقات الأفغانية ـ

الباكستانية ووضع المفاوضات، تحاول دائماً حل المشكلات من خلال المفاوضات السلمية وعلى امتداد الخط الافتراضي (خط ديورند)، لم تتسبب الإمارة الإسلامية في أي حادث، واتخذت العديد من الإجراءات للحفاظ على أمن المنطقة، ومنها دعوة مجلس العلماء، بهدف بذل جهود لحل المشكلات من خلال العلماء، وكذلك فرض قيود صارمة على المهاجرين القبليين للحد من تحركاتهم، مثل إبعادهم عن الخط الافتراضي ومراقبة أنشطتهم.

والأهمّ من ذلك أن الإمارة الإسلامية كانت دائماً مستعدة للحل السلمي من أجل إيجاد حلول دائمة لهذه المشكلات، إلا أن الجانب الباكستاني تجاهل هذه الجهود. وفي الماضي، عندما شن الجانب الباكستاني هجمات، ردت الإمارة الإسلامية بالانتقام في إحدى المرات، لكنها في مرات عديدة امتنعت عن الرد من أجل إتاحة المجال للمفاوضات. وبعد الهجمات الباكستانية في شهر أكتوبر ٢٠٢٢، تم التوصل إلى وقف إطلاق نار مؤقت بوساطة قطر وتركيا والسعودية، واستمر إلى حد كبير، إلا أن المفاوضات الثنائية فشلت في إسطنبول والدوحة بسبب تعنت الجانب الباكستاني.

وتتمثل المشكلة الرئيسية في أن باكستان تريد من الإمارة الإسلامية أن تُخرج حركة طالبان باكستان (TTP) بالكامل من أراضيها، في حين أن الإمارة الإسلامية لا تقر إطلاقاً بأنها منحت حركة طالبان باكستان ملاذاً، وقد أعلنت مراراً وعلى المستوى الرسمي أن الإمارة الإسلامية لا تسمح لأي طرف باستخدام أراضي أفغانستان ضد أي جهة.

والآن، بعد أن استهدفت باكستان مرة أخرى المدنيين الأبرياء في أفغانستان، فإن صبر أفغانستان وتحملها يوشكان على النفاد. ومن الثابت تاريخياً أن الأفغان لم يتركوا حقهم في الانتقام لأي أحد، وإذا استمر هذا الوضع، فقد تواجه الدوائر العسكرية الباكستانية صفعة قاسية.

ولحل هذه المشكلات بصورة دائمة، ينبغي على باكستان أن تعالج مشكلاتها الداخلية وأن تعود إلى طاولة المفاوضات. إن إقامة علاقات سلمية بين البلدين لا تضمن استقرار المنطقة فحسب، بل تمهد أيضاً الطريق أمام التنمية الاقتصادية ورفاه الشعوب. وقد سعت الإمارة الإسلامية دائماً إلى حل المشكلات من خلال المفاوضات بهدف حسن الجوار والسلام، وهو ما يعكس نهجاً مسؤولاً؛ إلا أن الهجمات والاتهامات المستمرة تضعف هذه الجهود.

وينبغي لباكستان ألا تفوّت هذه الفرصة، وأن تختار السلام بدلاً من الحرب، لأن الحرب لا يستفيد منها إلا أصحاب الأجندات الشريرة. ويُظهر هذا الوضع كيف يمكن للسياسات التاريخية الخاطئة أن تؤثر في الأجيال الحالية. وينبغي لقادة البلدين أن يضعوا مصالح شعبيهما في مقدمة أولوياتهم، وأن يتخذوا خطوات نحو حل سلمي، حتى يكون مستقبل المنطقة أكثر إشراقاً.

التحليـــل الأسبـــوعـــي للمرصـــاد

الحرب النفسية والدعائية؛ الاستخدام المشترك بين باكستان وداعش !

تُعدّ الحرب النفسية والدعائية، إلى جانب الحرب المسلحة، من أهم أشكال الحروب في العالم الحديث. وتشنّ هذه الحروب على العقول والمشاعر والإرادات، وغالبًا ما تكون نتائجها أكثر تأثيرًا من الهجمات العسكرية.

الحرب النفسية هي نوع من الحروب لا تُستخدم فيه الأسلحة، لكن تأثيرها قد يكون أكبر وأعمق من تأثير الحرب المسلحة. فهي تستهدف عقول الناس ومشاعرهم ومخاوفهم وآمالهم وإرادتهم. وبعبارة أخرى، هي مجموعة من الجهود المخططة التي تُوجّه إلى جنود الطرف المقابل وقادته وعامة شعبه، كما قد تُستخدم لرفع معنويات الطرف الذي ينفّذها. وهدفها دفع العدو إلى الاعتراف بالهزيمة أو الاستسلام أو تغيير خطته من دون الحاجة إلى إطلاق عدد كبير من الرصاصات.

أنواع الحرب النفسية

للحرب النفسية أنواع متعددة:

- الحرب النفسية البيضاء: تُقدّم فيها معلومات حقيقية، لكن بطريقة خاصة تخدم هدفًا معينًا.
- الحرب النفسية السوداء: تعتمد على نشر الأكاذيب الكاملة والأخبار المزيّفة بشأن العدو.
- الحرب النفسية الرمادية: يُقدّم فيها نصف الحقيقة بشأن الأحداث الجارية، مع خلطها بمعلومات غير صحيحة أو مضللة.

أدوات الحرب النفسية وتكتيكاتها

تتضمن أدواتها وتكتيكاتها استخدام الأصوات المرتفعة والأضواء والموسيقى لمنع النوم، ونشر الأخبار ومقاطع الفيديو المزيّفة، ومعاملة الأسرى بطريقة خاصة لدفعهم إلى المشاركة في الدعاية، وإطلاق حملات على منصات التواصل الاجتماعي، ونشر الخوف، وغير ذلك من الوسائل.

لماذا تُعدّ هذه الحرب مؤثرة؟

لأن عقل الإنسان أكثر حساسية من أي شيء آخر. فإذا انهارت المعنويات، فقد ينهار حتى أقوى جيش. والجندي الذي يعتقد مسبقًا: «إننا سنُهزم»، يكون قد هُزم قبل أن تبدأ المعركة.

ولهذا تُعدّ الحرب النفسية اليوم جزءًا من منظومة الدفاع الوطني في كل دولة تقريبًا. وتمتلك دول كثيرة أقسامًا خاصة بالعمليات النفسية تعمل على مدار الساعة.

الحرب الدعائية

الحرب الدعائية هي الحرب التي يدور فيها الصراع حول «الحقيقة»: مَن يستطيع فرض روايته؟ ومَن يستطيع إقناع العالم بأن «نحن الأخيار وهم الأشرار»؟ أي إن هذه الحرب تعمل على توجيه عقول الناس من خلال المعلومات والقصص والروايات، وجمع التأييد للطرف الذي ينفّذها، وتشويه صورة العدو. والحرب النفسية والحرب الدعائية مترابطتان، إذ تُعدّ الدعاية جزءًا مهمًا من الحرب النفسية.

ما الدعاية؟

الدعاية، أو «البروباغندا»، هي نشاط منهجي ومخطط يُنفّذ من خلال وسائل الإعلام والفنون والتعليم والثقافة، بهدف توجيه عقول الناس ودفعهم إلى قبول رأي أو موقف محدد.

وكما هي الحال في الحرب النفسية، تنقسم الدعاية إلى بيضاء وسوداء ورمادية:

- في الدعاية البيضاء، يجري التركيز على مدى نجاح الطرف الذي يصدر الدعاية.
- في الدعاية السوداء، تُنشر أكاذيب كاملة، مثل الصور ومقاطع الفيديو والتسجيلات الصوتية المزيّفة.
- في الدعاية الرمادية، يوجد مزيج من الحقيقة والتزييف؛ جزء قليل من الحقيقة وكثير من التضليل.

أصبحت الأدوات الحديثة للحرب الدعائية شديدة الخطورة، ويمكن لأي طرف أن يستخدمها ضد خصمه بسهولة وبإمكانات محدودة. ومن هذه الأدوات خوارزميات وسائل التواصل الاجتماعي، والمحتوى المصنوع بواسطة الذكاء الاصطناعي، مثل الصور والفيديوهات والأصوات، والمؤثرون على المنصات الاجتماعية، والصور الساخرة والرسوم الكاريكاتورية، فضلًا عن المدارس والمناهج التعليمية، ولا سيما كتب التاريخ.

والسؤال هو: لماذا تمتلك الدعاية كل هذه القوة، ولماذا تستطيع التأثير في الناس بهذه السهولة؟

السبب أن الإنسان كائن يتأثر بـ«القصة». فإذا رويتَ قصة جيدة تقول فيها: «نحن الضحايا» أو «نحن الأبطال»، فسوف يؤيدك الناس. وفي أحيان كثيرة، لا تكون الحقيقة هي العنصر الأهم، بل تصبح الطريقة التي تُقدّم بها القصة أكثر

أهمية.
وكما أشرنا، أصبحت وسائل الدعاية اليوم سهلة ومتاحة، لكن أخطارها وأضرارها تضاعفت أيضًا. فهي تُستخدم لنشر الكراهية أو انعدام الثقة بين الناس، وقد تجعل الأكاذيب شائعة إلى درجة يفقد معها الناس ثقتهم بالحقيقة كما يمكن استخدامها لدفع الشباب نحو الأفكار المتطرفة والتأثير في كبار السن والشباب والأطفال جميعًا.
تبدأ الحرب الدعائية اليوم قبل الحرب المسلحة، وتستمر حتى بعد انتهائها. والطرف الذي ينجح في مجال الدعاية يستطيع تحقيق النجاح في مجالات كثيرة أخرى.

الحرب النفسية والدعائية الباكستانية

تُنفّذ الحرب النفسية والدعائية الباكستانية بصورة عامة من خلال الإدارة العامة للعلاقات العامة للجيش الباكستاني «ISPR» وجهاز الاستخبارات الباكستاني «ISI». وتركز هاتان المؤسستان على صناعة الدعاية والروايات على المستويين العسكري والحكومي، ولا سيما فيما يتعلق بالهند وكشمير والقضايا الداخلية.
وفي إطار الأساليب والاستراتيجيات الأساسية، تؤدي وسائل الإعلام الرسمية الباكستانية و«ISPR» دورًا مهمًا. فالإدارة العامة للعلاقات العامة «ISPR» هي الجهاز الإعلامي الرسمي للجيش الباكستاني، وقد بدأت نشاطها عام 1949. وتعمل هذه المؤسسة على التحكم في الرواية الوطنية من خلال نشر أخبار العمليات العسكرية والبيانات ومقاطع الفيديو.
كما تستفيد من التلفزيون والأفلام ووسائل التواصل الاجتماعي، مثل فيسبوك وإكس، المعروف سابقًا بتويتر، وإنستغرام وتيك توك، إلى جانب الصحافة المطبوعة. وتهدف إلى بناء صورة إيجابية عن الجيش، وإلقاء اللوم على العدو، الذي كان غالبًا الهند وأصبح يشمل أفغانستان في السنوات الأخيرة، والحد من المعارضة الداخلية.
وتُنفّذ هذه الأنشطة باستخدام الحسابات الآلية «BOTS» والحسابات المزيّفة والحملات المنسّقة، ولا سيما من خلال الباكستانيين المقيمين في الخارج والصحفيين والمؤثرين، بهدف التأثير في الرأي العام الدولي.
كانت العلاقات بين أفغانستان وباكستان معقدة ومتوترة منذ زمن طويل. وقد نفّذت باكستان، وبخاصة جهازها الاستخباراتي العسكري، منذ فترة طويلة عمليات دعائية ونفسية بهدف تعزيز نفوذها في الشؤون الداخلية الأفغانية.
وغالبًا ما تُعدّ هذه العمليات جزءًا من سياسة «العمق الاستراتيجي»، التي تهدف إلى إقامة حكومة صديقة أو تابعة لباكستان في أفغانستان وحماية نفسها

مـن الهنـد. وتُشـنّ هـذه الحـرب بصـورة أساسـية مـن خلال الأخبـار الكاذبـة وصناعـة الروايات واستغلال المشاعر الدينية والقومية ونشر العداوة.

تدهـورت العلاقـات بيـن باكسـتان وأفغانسـتان، التـي تديرهـا الإمـارة الإسلاميـة، بصـورة كبيـرة بعـد عـام 2021. فقـد رحّبـت باكسـتان فـي البدايـة بانتصـار الإمـارة الإسلاميـة، لكنهـا بـدأت لاحقًـا بتقديـم شـكاوى ضـد أفغانسـتان بشـأن حركـة طالبـان باكسـتان «TTP». وفـي الوقـت نفسـه، حافظـت أفغانسـتان علـى موقفهـا الواضح تجاه قضية خط ديورند.

وتتهـم باكسـتان حركـة طالبـان بتوفيـر ملاذ لحركـة طالبـان باكسـتان داخـل أفغانسـتان، وبـأن الهجمـات ضـد باكسـتان تُنفّـذ انطلاقًـا مـن الأراضـي الأفغانيـة. وقـد أصبحـت هـذه الاتهامـات ذريعـة لمحاولـة باكسـتان تعزيـز موقفهـا مـن خلال عمليات نفسية ودعائية.

يتهـم المتحـدث الرسـمي باسـم الجيـش الباكسـتاني «ISPR» أفغانسـتان بصـورة منتظمـة بأنهـا «تدعـم الإرهابييـن»، ولا تؤمّـن الحـدود المفترضـة، أي خـط ديورنـد، وتوفـر الحمايـة لحركـة طالبـان باكسـتان. وبعـد كل هجـوم يقـع داخـل باكسـتان، تصـدر «ISPR» سـريعًا بيانًـا تقـول فيـه إن «الهجـوم خُطـط لـه مـن الأراضـي الأفغانيـة» وإن «الإمـارة الإسلاميـة تتحمـل المسـؤولية». وتسـتخدم باكسـتان هـذه الروايـة لرفـع المعنويـات الداخليـة وتقديـم نفسـها إلـى المجتمـع الدولـي بوصفهـا «ضحية».

ومنـذ عـام 2021، نفّـذت باكسـتان عـدة غـارات جويـة داخـل أفغانسـتان، ومنهـا غـارات وقعـت خلال عامـي 2025 و2026 فـي ننغرهـار وبكتيـكا وكونـر وخوسـت. وتعـرض باكسـتان هـذه الهجمـات علـى أنهـا عمليـات ضـد حركـة طالبـان باكسـتان وفـرع تنظيـم داعـش فـي خراسـان، كمـا تقدمهـا فـي دعايتهـا بوصفهـا «دفاعًـا عن النفس» و«عمليات لمكافحة الإرهاب».

لكـن هـذه الضربـات، وفقًـا لوجهـة نظـر كاتـب المقـال، تمثـل رد فعـل علـى عـدم قبـول أفغانسـتان لمطالـب باكسـتان، ويظهـر هـذا الـرد فـي صـورة قتـل المدنييـن. وتقـدم وسـائل الإعلام الباكسـتانية هـذه الهجمـات بوصفهـا ناجحـة، بينمـا يـرى الكاتـب أنهـا ليسـت نجاحًـا، بـل جرائـم حـرب يرتكبهـا النظـام العسـكري فـي مناطق مختلفة.

وبالإضافـة إلـى هـذا الانتهـاك الواضـح لسـيادة أفغانسـتان، يسـتخدم النظـام العسـكري الباكسـتاني، فـي وسـائل الإعلام والدعايـة الرقميـة، الحسـابات الآليـة والوسـوم والأخبـار المزيّفـة لإظهـار الإمـارة الإسلاميـة بوصفهـا «سـلطة غيـر كفـؤة» و«راعيـة للإرهاب».

وبعد هجمات حركة طالبان باكستان والجماعات المسلحة الأخرى، تطلق باكستان ومؤسساتها حملات تقول فيها إن «أفغانستان أصبحت مركزًا للإرهاب» وإن «الإمارة الإسلامية غير قادرة على الوفاء بالتزاماتها».

وفي المقابل، يرى الكاتب أن باكستان تستخدم كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة ضد أفغانستان. كما استخدمت ملايين المهاجرين الأفغان أداةً للضغط على أفغانستان، فأخرجتهم من أراضيها ووصفت ذلك بأنه «ضرورة أمنية»، بينما يرى الكاتب أن الحقيقة مختلفة.

وإلى جانب ذلك، تتهم باكستان الإمارة الإسلامية في المحافل الدولية، مثل الأمم المتحدة وغيرها، بعدم اتخاذ إجراءات ضد الإرهاب. ويأتي ذلك في وقت تعلن فيه الإمارة الإسلامية، منذ عودتها إلى السلطة، أن سياستها وموقفها يقومان على عدم السماح لأي جهة باستخدام الأراضي الأفغانية ضد دولة أخرى، وأنها اتخذت الخطوات اللازمة لمنع ذلك.

وخلاصة القول إن هذه حرب متعددة الأبعاد؛ إذ تنفّذ باكستان عمليات عسكرية عبر الهجمات، وتشن في الوقت نفسه حربًا نفسية من خلال الاتهامات ومحاولة خفض المعنويات، كما تُبقي جبهة الحرب الدعائية والإعلامية نشطة.

وتريد باكستان إجبار الإمارة الإسلامية على السيطرة على حركة طالبان باكستان. لكن الكاتب يرى أن من الواضح أن حركة طالبان باكستان نشأت داخل باكستان، وتدرّبت هناك، وتنفّذ أنشطتها داخلها، وأن تعنت النظام الباكستاني أدى إلى وصول العلاقات بين الطرفين إلى مستوى المواجهة العسكرية.

كيف يعمل تنظيم داعش في مجال الحرب النفسية والدعائية؟

امتلك تنظيم داعش واحدًا من أنجح وأكثر الآلات الدعائية وحشية في العالم، وكانت دعايته من الأسباب الرئيسية لسرعة تقدمه. فقد استطاع من خلال العمليات النفسية والدعائية تجنيد آلاف الشباب، وإخافة أعدائه، وبناء صورة خاصة به أمام العالم.

لم تكن دعاية داعش مجرد «أخبار»، بل كانت سلاحًا نفسيًا مباشرًا. ولهذا استخدم التنظيم إنتاجًا احترافيًا عالي الجودة، ومقاطع فيديو شبيهة بالإنتاج الهوليوودي، مثل أفلام «لهيب الحرب». كما نشر الأناشيد والرسوم المتحركة والصور الساخرة والرسوم المعلوماتية بلغات محلية ودولية متعددة.

ومن أجل بناء صورة «الانتصار»، قدّم مقاتليه بوصفهم أبطالًا ومناضلين، ووصف أعداءه بأنهم «كفار ومرتدون». ولإثارة الخوف، نشر مقاطع فيديو لقطع الرؤوس والحرق وعمليات الإعدام. كما استخدم الاسم المقدس لـ«الخلافة» من أجل

الترويج لفكرة وحدة الأمة الإسلامية، واعتمد وسائل متعددة للتجنيد تحت شعارات العدالة والأمن والثروة و«ساحة الجهاد الحقيقية».

أجاد داعش إدارة حرب العقول. فقد خطط لهجمات نشر الرعب بصورة درامية، مثل هجمات باريس وبروكسل وغيرها من مناطق العالم الغربي، وكان هدفه إرسال رسالة تقول: «نحن موجودون في كل مكان، وأنتم لستم آمنين».

كما منح الشباب، ولا سيما الشباب الموجودين في الغرب، شعورًا بالهوية والهدف، وقدّم لهم رسالة مفادها: «يمكنك أنت أيضًا أن تصبح بطلًا». وكان هذا الخطاب قويًا ومؤثرًا إلى درجة دفعت عددًا من الشباب إلى التأثر به وتنفيذ هجمات متعددة في الدول الغربية، وكما ذُكر سابقًا، أصبحت الوسائل الحديثة للحرب النفسية والدعائية واسعة الانتشار ومتاحة بسهولة. وكانت وسائل التواصل الاجتماعي الأداة الرئيسية لدعاية داعش، إذ استخدم التنظيم منصات متعددة، مثل فيسبوك وتلغرام واكس، المعروف سابقًا بتويتر، وعشرات المنصات الأخرى.

وكان يمتلك مئات الآلاف من الحسابات، لكن هذا لا يعني أن مئات الآلاف من الأشخاص كانوا يديرونها، إذ كان الشخص الواحد يدير عدة حسابات في الوقت نفسه بهدف إيصال المحتوى الدعائي إلى أكبر عدد ممكن من المتلقين.

كان النشاط الإعلامي لتنظيم داعش واسعًا؛ فلم يقتصر على نشر المقاطع المصورة والتسجيلات الصوتية، بل أصدر أيضًا مجلات وكتبًا ذات جودة عالية وتصاميم جميلة وجذابة. كما نشر الأخبار العاجلة بلغات متعددة من خلال وكالة أعماق، واستخدم الراديو، الذي يُعدّ من أكثر أدوات الحرب الإعلامية تأثيرًا، من خلال محطات بث على موجات «FM».

والسؤال هو: لماذا حققت دعاية داعش هذا القدر من النجاح؟

السبب الأول هو استخدام التنظيم لأسماء وشعارات مؤثرة، مثل «الخلافة» و«الأمة»، ما دفع أشخاصًا يمتلكون خبرات متنوعة من مختلف أنحاء العالم إلى الهجرة نحو مراكزه. واستفاد داعش من المتخصصين في مجالاتهم المختلفة، وكانت نتائج ذلك واضحة في جودة إنتاجه الإعلامي. أما السبب الآخر فكان سرعة عمله؛ إذ كان ينشر الأخبار والمواد الإعلامية بسرعة كبيرة. كما كان يمتلك معرفة واسعة بأساليب التجنيد والاستقطاب، ولذلك استطاع التأثير في جمهوره واستغلاله لمصلحته بسهولة. وعلى الرغم من سقوط ما كان يُسمّى «خلافة داعش» وتراجع وجود التنظيم الميداني في المنطقة، فإن «خلافته الإلكترونية» ما تزال نشطة.

وخلاصة القول إن داعش كان ينظر إلى الدعاية والحرب النفسية بوصفهما لا

تـقلان أهميـة عـن قوتـه العسـكرية. وكان يـدرك أن مَـن يسـيطر علـى العقـول يسـتطيع السـيطرة علـى الأرض أيضًـا. وتسـتخدم جماعـات متطرفـة أخـرى هـذه الأساليب في الوقت الحاضر.

وفـي نهايـة هـذا المقـال نسـتنتج أن الحـرب النفسـية والدعائيـة هـي حـرب حـول «الحقيقـة». فالطـرف الـذي يسـتطيع تقديـم الروايـة الأكثـر تأثيـرًا والسـيطرة علـى العقـول يسـتطيع تحقيـق الانتصـار في مجـالات كثيـرة. وهـذه الحـروب لا تحتـاج إلـى القوة العسـكرية وحدها، بل تتطلب أيضًا قوة ذهنية وفكرية.

ويجـب أن نـدرك أن المعلومـات أصبحـت اليـوم سلاحًـا لا يقـل خطـورة عـن الأسـلحة التقليدية.

الفصل الأول
أبطال الأمّة

نظرة موجزة إلى حياة وانجازات الشهيد منصور رحمه الله

من بين طلاب مدرسة عمري المشهود لهم بالرصانة، كان أحدهم الشهيد أمير المؤمنين الملا أختر محمد (منصور) تقبله الله، الذي تولّى عمليًا قيادة شؤون الإمارة الإسلامية أثناء حياة أمير المؤمنين الراحل، وبعد إعلان وفاته، تم اختياره زعيمًا جديدًا للإمارة الإسلامية من قبل كبار أهل الحل والعقد، والعلماء الكرام، وقادة الجهاد، والشخصيات الوطنية. وقد اضطلع منذ ذلك الحين بمسؤولية قيادة هذا الركب العظيم بأمانة وثبات وبسالة حتى لحظة استشهاده.

فيما يلي نظرة موجزة على حياته، وأعماله، وموقفه من الخوارج الدواعش:

المولد:

وُلد الشهيد الملا أختر محمد منصور تقبله الله، ابن الحاج محمد جان، عام 1347هـ ش (1968م) في قرية بند تيمور، مديرية ميوند، ولاية قندهار. ونظرًا لأن أسرته كانت متدينة ومحبّة للعلم، وكان والده من محبّي العلماء، فقد وُجّه الملا منصور منذ نشأته الأولى إلى العلم الديني، حيث اعتُبر الخيار الأمثل لتربيته الصالحة.

التعليم:

في سن السابعة، وتحت إشراف والده، التحق بالمدرسة الابتدائية في منطقته، وتفرّغ لدراسة العلوم الدينية في مسجد قريته. وقد ظهرت عليه علامات الذكاء والبصيرة منذ طفولته، فأحاطه أساتذته برعاية خاصة إلى جانب والده.

وأثناء هجرتهم، أقامت أسرته في مخيم غردي جنغل ببلوشستان، فتابع هناك دراسته الدينية، ثم انتقل إلى منطقة پنج باي، وبعدها إلى مدينة كويته، حيث درس في مدرسة بمنطقة عبدالله خان كراس. ثم رحل إلى بيشاور طلبًا للعلم، وهناك درس في كاشه كري وغيرها من المناطق، وختم الدورة الصغيرة في مخيم جلالوزو في بيشاور. في أثناء انشغاله بالعلوم الدينية، كانت السلطة في أفغانستان بيد الشيوعيين، فهبّ الشعب المجاهد ضدهم بثورته الإسلامية.

الجهاد والنضال السياسي:

بعد الغزو السوفياتي لأفغانستان عام 1978م، بدأ الشعب الأفغاني مقاومته الإسلامية. وكان منصور آنذاك شابًا في الثامنة عشرة من عمره، فانخرط في الجهاد المسلح ضد الغزاة الشيوعيين والعملاء الداخليين دفاعًا عن الدين والوطن.

كان يقضي جزءًا من السنة في التحصيل العلمي، ثم يتوجه إلى الجبهات الجهادية. وفي عام 1985م، التحق بجبهة الشهيد القائد الجهادي قاري عزيز الله، وواصل جهاده في منطقة باشمول بمديرية پنجوايي، تحت إشراف الشخصية الجهادية البارزة الحاج الملا محمد حسن آخند.

شارك في العديد من العمليات العسكرية، وأصيب في إحداها عام 1978م بجراح خطيرة أصابت جسده في ثلاثة عشر موضعًا، لكن الله شفاه. وأصيب مرة أخرى في مايو 1997م في مطار مزار شريف أثناء حكم الإمارة الإسلامية، وأسر حينها من قبل الخصوم وهو مصاب.

الانضمام إلى حركة طالبان الإسلامية:

بعد سقوط النظام الشيوعي واندلاع الحرب الداخلية عام 1992م، وضع منصور سلاحه جانبًا، وامتنع عن دعم أي طرف في النزاعات، وانشغل بالأنشطة العلمية والتربوية، مبتعدًا عن النشاطات التنظيمية.

في عام 1415هـ، عند تأسيس حركة طالبان على يد أمير المؤمنين الملا محمد عمر مجاهد رحمه الله، كان الملا منصور يدرس في مدرسة أمينية في مخيم جلالوزو تحت إشراف الشيخ شهاب الدين دلاور وسيد قريش بابا.

وعندما سمعوا بتأسيس الحركة عبر الإذاعات، قرروا إرسال مندوبين إلى قندهار للتحقق من الأمر، وعاد المندوبان بتقرير مؤكد أن الحركة تابعة للمجاهدين. عندها قرر منصور ورفاقه الالتحاق بالحركة. ولدى وصولهم إلى بولدك، اختاروا الملا منصور زعيمًا لهم، وانضموا تحت قيادته إلى صفوف طالبان.

اختياره أميرًا للإمارة الإسلامية:

في 14 شوال 1436هـ (30 يوليو 2015م)، أعلنت قيادة الإمارة الإسلامية رسميًا وفاة أمير المؤمنين الملا محمد عمر مجاهد رحمه الله، وفي اجتماع كبير حضره أعضاء الشورى القيادية والمشايخ والعلماء، تم اختيار الملا منصور أميرًا جديدًا للإمارة الإسلامية بعد مشاورات طويلة، وبايعه الجميع بالإجماع.

المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الأمريكي:

بعد الغزو الأمريكي لأفغانستان في 7 أكتوبر 2001م، بدأ منصور جهاده المسلح ضدهم، وتمثّلت إحدى أبرز محطاته في مقاومة القصف الأمريكي حول مطار قندهار، وخوضه معارك ضد عملاء الاحتلال. ومن أبرز إنجازاته في تلك الفترة، تحرير أكثر من 1500 أسير من سجون العدو في قندهار خلال عمليتين نوعيتين عامي 2003م و2008م، وقعتا خلال مسؤوليته.

بداية الحوار مع داعش:

عندما أعلن تنظيم داعش في عام 2015م عن إقامة ولاية خراسان، بعث الملا

منصور برسالة إلى أبي بكر البغدادي، طالبًا منه الاعتراف بقيادة طالبان في أفغانستان والحفاظ على وحدة صفوف الجهاد. وحذر من أن الانقسام سيؤدي إلى ضياع المكاسب وإدخال السرور على الكفار.

تفاقم الخلافات:

ورغم محاولاته لإقناع داعش بالكف عن إشعال الفتنة بين المسلمين، توسع التنظيم في ولايات شرقية، وشن هجمات ضد طالبان. وحينها قررت الإمارة الإسلامية إعلان الجهاد ضد داعش.

الرد العسكري للإمارة الإسلامية:

أسّس منصور وحدات خاصة لمواجهة داعش، وأطلق عمليات عسكرية ضدهم في ولاية ننجرهار، دمّرت مراكزهم، وأعلنت الإمارة أن داعش تفرّق صفوف الجهاد وتثير الفتنة بين المسلمين.

استسلام أفراد من داعش:

بسبب ضغط الإمارة الإسلامية، انفصل بعض القادة والمقاتلين عن داعش، وصرّحوا بأنهم كسروا بيعتهم مع داعش بعد أن أدركوا وجهه الحقيقي، وبايعوا قيادة الملا منصور تقبله الله.

خصائص قيادته:

الالتزام بالوحدة: بذل جهودًا كبيرة لتوحيد قادة الإمارة الإسلامية تحت راية واحدة، وأنشأ صفًا موحدًا ومنظمًا.

التوازن بين السلام والجهاد: أبقى باب الحوار مفتوحًا، لكنه واصل الجهاد ضد الاحتلال دون توقف.

الحزم ضد الخوارج: اتخذ موقفًا حازمًا ضد الخوارج، وكان هذا من أبرز مواقفه في سبيل وحدة الأمة وصيانة أصول الإمارة الإسلامية.

الاستشهاد:

وفي النهاية، استُشهد هذا المجاهد المخلص الذي لم يمض عام كامل على توليه الإمارة، إثر غارة لطائرة أمريكية بدون طيار في 21 مايو 2016م تقبله الله.

نظـــرة موجـــزة إلى حيـــاة وإنجـــازات الشهيـــد مجيب الرحمن أنصاري، رحمه الله

وُلد الشهيد مولانا مجيب الرحمن الأنصاري، نجل خواجه محمد رفيق الأنصاري، وحفيد العالم والصوفي الكبير خواجه محمد صديق الأنصاري، سنة 1362هـ شمسية في منطقة كازركاه التابعة للناحية الثامنة من مدينة هرات، في أسرة علمية وروحانية عريقة ومعروفة.

وتعود سلسلة نسبه إلى العالم والصوفي الكبير في القرن الخامس الهجري، شيخ الهرات خواجه عبد الله الأنصاري، الذي كان في عصره من كبار أهل العلم والعرفان والشخصيات البارزة.

نشأ الشهيد مجيب الرحمن الأنصاري في هذه الأسرة المتدينة المحبة للعلم وكانت أسرته، التي تقيم في منطقة كازركاه بجوار ضريح ومسجد خواجه عبد الله الأنصاري الجامع، معروفة ليس فقط من الناحية العلمية والروحانية، بل كان لها أيضًا نفوذ اجتماعي ملحوظ.

طفولته وتعليمه الابتدائي:

وُلد الأنصاري في أسرة روحانية وعلمية، وكانت أسرته، إلى جانب ذلك، ميسورة الحال من الناحية المالية؛ فقد كان والده وأعمامه يعملون في التجارة. ولذلك كان بعيدًا إلى حد كبير عن المشاغل المادية للدنيا، ومتفرغًا للعلم نشأ في أحضان جده العالم والصوفي، في أجواء الذكر وتلاوة القرآن والتعلم والتعليم. ومنذ صغره اعتاد على أذكار الصباح والمساء وتلاوة القرآن. وفي سن السابعة، أدخله جده إلى دار الحفاظ عمر الفاروق رضي الله عنه، حيث حفظ القرآن الكريم خلال سنة ونصف على يد الأستاذ المعروف المرحوم الحافظ مولوي آقا غل خان. ثم تعلّم علم التجويد نظريًا وعمليًا على يد إمام وخطيب مسجد أويس القرني الجامع، مولانا عبد البصير. وبعد ذلك اتجه بجدية إلى طلب العلوم الدينية، وقرأ الكتب الابتدائية في مدرسة غياثية في هرات.

من المدرسة إلى المنبر:

كان الشهيد الأنصاري يتمتع بذكاء وفهم عميقين، واستمر، بالإضافة إلى التعلم من جده العالم، في تلقي العلم على أيدي عدد من علماء هرات المعروفين. وكان الله تعالى قد منحه منذ طفولته قدرة متميزة على البيان والخطابة؛ فكان يتلو القرآن بصوت عذب جدًا، ويلقي مواعظه بأسلوب فصيح

وبليغ. وفي سنة 1380هـ شمسية، وكان عمره آنذاك ثمانية عشر عامًا فقط، أسندت إليه مهمة الخطابة في المسجد الجامع لمرقد خواجه عبد الله الأنصاري في كازركاه. وخلال فترة قصيرة جدًا، اشتهر على مستوى هرات باعتباره خطيبًا بارزًا وجذابًا، حتى كان الآلاف يجتمعون كل يوم جمعة للاستماع إلى مواعظه. وفي السنوات الأخيرة اتسع تأثير خطبه إلى درجة أن الناس كانوا يأتون من المناطق النائية للاستماع إليه، وكان بعضهم يصل إلى المسجد منذ الساعة الثامنة أو التاسعة صباحًا يوم الجمعة حتى يتمكن من الاستماع إلى خطب الشهيد الأنصاري المؤثرة. وفي سنة 1384هـ شمسية، ذهب إلى الحج، وبعد عودته واصل دراسته الدينية على يد عدد من علماء هرات المعروفين، ومنهم مولانا محمد غوث الهروي، ومولانا گل أحمد بادمرغاني، وغيرهما. حتى إنه في سنة 1389هـ شمسية أتم دورة في الحديث على يد مولانا نجيب أحمد الخراساني، وتوّج تخرجه من العلوم الدينية بارتداء عمامة التخرج.

وبعد تخرجه، واصل لمدة عامين آخرين أداء مهمة الخطابة والتدريس في مسجد كازركاه، إلى أن ذهب سنة 1391هـ شمسية إلى المدينة المنورة طلبًا للعلم، حيث واصل دراسة العلوم الدينية لمدة ست سنوات في الجامعة الإسلامية، ثم عاد إلى مدينته ومدرسته بعد تخرجه بدرجة امتياز.

أعمال الشهيد مولانا الأنصاري الإصلاحية ومواقفه المشرفة:

لم يكن مولانا الأنصاري مجرد إمام مسجد ومدرس، بل كان داعيةً نشطًا، ومصلحًا اجتماعيًا، ومرشدًا حريصًا على مصلحة المجتمع. وكان يستفيد من نفوذه وشعبيته الواسعين في منطقته من أجل إحياء الشعائر الدينية، ونشر الثقافة الإسلامية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإصلاح الاجتماعي. تقع منطقة كازركاه في شمال شرق مدينة هرات، عند سفوح الجبال والتلال، وهي منطقة سياحية تضم العديد من المزارات. وخلال سنوات الاحتلال، عندما كان يجري العمل بصورة منظمة على نشر الفساد والاختلاط والتبرج في المدن، وصلت آثار ذلك إلى هذه المنطقة أيضًا. فكان بعض الشباب والنساء يأتون إلى المنطقة بغرض السياحة، وكانت بعض النساء يظهرن أمام رجال أجانب عنهن. كما كان بعض الشباب يتعاطون المخدرات، بما فيها الخمر. وبما أن النظام الحاكم كان يعمل على نشر هذا النوع من الفساد، فلم يكن من الممكن توقع أن يقوم بمنعه. وفي أحد أيام الجمعة، أعلن مولانا الأنصاري أثناء خطبته أنه من الآن فصاعدًا، إذا شوهدت في كامل المنطقة امرأة دون محرم، أو شاب يتعاطى المخدرات أو يرتكب أي سلوك غير أخلاقي، فسيتم القبض عليه، وعرضه على دار الإفتاء التابعة لهم، وتطبيق العقوبة الشرعية

عليه. وبالتزامن مع ذلك، شكّل مجموعات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعيّنها بملابس خاصة لمنع جميع المنكرات في المنطقة.
كما وضع لوحات إعلانية في منطقة كازركاه وأجزاء أخرى من المدينة، تدعو النساء إلى الالتزام بالحجاب والعفة. وأثارت هذه القضية ضجة كبيرة في ذلك الوقت، وعلقت وسائل الإعلام عليها كثيرًا، لكن مولانا الأنصاري ظل ثابتًا على موقفه بشجاعة كاملة، وكان يحظى أيضًا بدعم شعبي، ولذلك لم يتمكن النظام الحاكم من اتخاذ أي إجراء ضده. وكان مولانا الأنصاري قد ربّى شباب منطقته على الفكر الديني، وكان دائمًا ينظم تجمعات احتجاجية بشأن قضايا الأمة الإسلامية ويرفع صوته حيالها. وفي إحدى المرات، عندما جرى الإساءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أوروبا، أعلن للناس أن هناك تجمعًا في اليوم التالي احتجاجًا على ذلك. وبمجرد إعلانه، تجمع الآلاف، فألقى عليهم خطابًا مؤثرًا، ثم أنشد لهم، بصوت وترنيم مؤثر، القصيدة الحماسية الشهيرة «مؤمنين بيا خيزيد»، أي: «أيها المؤمنون، انهضوا». وكانت خطبته مؤثرة إلى درجة أن الناس كانوا يرددون تكبيرات «الله أكبر» بعد كل جملة تقريبًا، وكانت مشاعرهم الإيمانية تشتعل بقوة.

خدماته في المجال التعليمي والدعوي:

أسس مولانا الأنصاري في قريته، بجوار مرقد خواجه عبد الله الأنصاري، مدرسة كبيرة باسم دار العلوم العالية الأنصار، يدرس فيها حاليًا، إلى جانب نحو 400 طالب مقيم في القسم الداخلي، قرابة ألفي شخص. وإضافة إلى ذلك، أسس عددًا من المراكز الدينية المهمة، منها:

- دار الأيتام الأنصار.
- المدرسة الدينية الأنصار، التي تضم قسمين للرجال والنساء.
- دار الحفاظ الأنصار.
- دار التأليف.
- دار الإفتاء.
- كما أنشأ محطة إذاعية على موجة FM باسم «صدى الأنصار»، تبث برامج دعوية وإصلاحية.

معارضة الاحتلال الأمريكي:

كان مولانا الأنصاري صاحب إيمان راسخ وعقيدة قوية وفكر يدعو إلى الحرية. وكان من أشد المعارضين للاحتلال الأمريكي، وكان يعلن بصورة صريحة رفضه للاحتلال وللحكومة التابعة له. وكان يكرر في خطبه أن العمل لدى النظام العميل غير جائز، وأن الحصول على راتبه حرام. وقد بذل مسؤولو الإدارة

التابعة للاحتلال جهودًا كثيرة لمنعه من هذه التصريحات بالضغط والمال والوسائل المختلفة، لكنهم لم ينجحوا. وعرضوا عليه العديد من الامتيازات، لكنه لم يلتفت إليها، واستمر بثبات كامل في أداء ما اعتبره واجبه الإيماني. وفي إحدى المرات، عندما زار أشرف غني، الذي يصفه النص بأنه آخر رئيس تابع للأمريكيين، مدينة هرات، أرسل إليه عن طريق حاكم هرات رسالة يطلب منه الحضور للقاء أشرف غني. فقال مولانا الأنصاري: «لا أريد بأي حال من الأحوال أن أرى وجه هذا الشخص.» وبعد ذلك أرسلت إليه رسالة تفيد بأن أشرف غني سيذهب إلى منطقة كازركاه التابعة له، لكنه قال إنه حتى لو جاء أشرف غني، فلن يلتقي به. وفي إحدى المرات، عندما جاء قائد قوات الناتو إلى هرات، طلب من حاكم هرات آنذاك عبد القيوم رحيمي أن يمنع مولانا الأنصاري حتمًا من الإدلاء بهذه التصريحات. لكن حاكم هرات أجابه بأن ذلك ليس في مقدورهم، لأن الأنصاري ليس وحده، بل إنه ربّى آلاف الأشخاص على هذا الفكر، وإذا اتخذت الحكومة إجراءً ضده، فستندلع في هرات انتفاضة كبيرة وستكون عواقبها وخيمة. وهذا يدل، بحسب النص، على أن الإدارة التابعة للاحتلال كانت تعاني كثيرًا من موقف مولانا الأنصاري، لكنها لم تكن قادرة على اتخاذ إجراء ضده بسبب نفوذه الشعبي الواسع. كان مولانا الأنصاري عالمًا شجاعًا وجريئًا، شديد الحساسية تجاه مبادئه وقيمه، ولم يكن يجامل أحدًا. وفي إحدى المرات، عندما علم أن الإساءة إلى الصحابة الكرام قد وقعت في بعض مدارس الشيعة في هرات، رفع صوته بشجاعة وحذّر من أنه إذا تكرر هذا الفعل، فسيتخذ ضده إجراءً عمليًا شديدًا. وبعد ذلك التحذير، لم يتكرر ذلك الفعل مرة أخرى. وكان مولانا الأنصاري مؤيدًا بقوة للجهاد المسلح ضد الاحتلال ولدعوة الإمارة الإسلامية. وعندما اتخذ إسماعيل خان في الفترة الأخيرة إجراءات ضد المجاهدين، عارضه مولانا الأنصاري بشدة، وأرسل إليه وفدًا، وطالبه بألا يقف عائقًا أمام قيام النظام الإسلامي.

الوقوف بشجاعة دعمًا للنظام الإسلامي:

كما وقف الشهيد مولانا الأنصاري بشجاعة في مواجهة الاحتلال والنظام الذي وصفه النص بالمفسد، وقام بما يعتبره النص جهاد «كلمة حق عند سلطان جائر»؛ فقد وقف كذلك، بعد أن أصبحت الإمارة الإسلامية حاكمة في أفغانستان وتم تطبيق النظام الإسلامي، بكل ثبات وإخلاص وشجاعة دفاعًا عن النظام الإسلامي.

وأعلن في خطبه دعمه القوي للنظام الإسلامي، ودعا الناس إلى دعم الحكومة الإسلامية. كما أعلن في اجتماع كبير لعلماء الدين أن الدفاع عن الإمارة

الإسلاميـة ودعمهـا واجـب دينـي، واعتبـر معارضيهـا بغـاة. وأثـار هـذا الموقـف الجريء، مـرة أخـرى، ضجـة كبيـرة بيـن أعـداء الإسلام والنظـام الإسلامـي، وظلـت وسـائل الإعلام لعـدة أيـام تعلـق عليـه. وعندمـا زار زعيـم الإمـارة الإسلاميـة وأميـر المؤمنيـن الشـيخ هبـة اللّه أخونـد زاده مدينـة هـرات، التقـى بـه مولانـا الأنصـاري. وعندمـا عُرضـت عليـه مـن جانـب الإمـارة مناصـب رسـمية، رفـض قبولهـا، وقـال: «أنـا أخدم النظام الإسلامي من منبري ومدرستي.»

استشهاده:

فـي يـوم 11 سـنبله 1401هـ شمسـية، الموافـق 6 صفـر المظفـر 1444هـ قمريـة، وكـان يـوم جمعـة مبـارك، شـارك مولانـا الأنصـاري فـي السـاعات الأولـى مـن النهـار فـي مؤتمـر اقتصـادي بمدينـة هـرات، بحضـور نائـب رئيـس وزراء الإمـارة الإسلاميـة الـملا بـرادر آخونـد، وألقـى كلمـة فيـه. وبعـد ذلـك اسـتأذن وغـادر المؤتمـر لكـي يلحـق بـصلاة الجمعـة. وعندمـا وصـل إلـى منزلـه، اغتسـل غسـل الجمعـة المسـنون، وارتـدى الملابـس البيضـاء والعمامـة، ووضـع العطـر، ثـم توجـه بـكل وقـار نحـو المسـجد لأداء صلاة الجمعـة. لكـن عنـد السـاعة الثانيـة عشـرة والنصـف ظهـرًا، تعـرّض لهجـوم انتحـاري بالقـرب مـن المسـجد، واستشـهد معـه 18 شـخصًا، كـان معظمهـم مـن حراسـه، ونالـوا جميعًـا مقـام الشـهادة. وأعلنـت جماعـة داعـش الخـوارج مسـؤوليتها عـن الهجـوم. وأقيمـت جنـازة مولانـا الأنصـاري فـي اليـوم التالـي، يـوم السـبت، فـي مصلـى العيـد بمنطقـة كازرركاه فـي هـرات. وبحسـب شـهود عيـان، فإن مدينـة هـرات لـم تشـهد حتـى ذلـك الوقـت جنـازة بهـذا الحجـم. وشـيّع عشـرات الآلاف جنازتـه وسـط الدمـوع والدعـاء. وأدى صلاة الجنـازة شـقيقه الأصغـر، العالـم مولانـا فضـل الرحمـن الأنصـاري، الـذي عيّنـه علمـاء مدينـة هـرات لاحقًـا خلفًـا للشـهيد الأنصاري، كـما عُيّن إمامًا وخطيبًا لمسجد خواجه عبد اللّه الأنصاري.

نظـــرة موجـــزة إلى حيـــاة وإنجـــازات الشهيـــد خليل الرحمن حقاني، رحمه الله

هنـاك بعـض الوفيـات فـي التاريـخ ليسـت مجـرّد اختفـاء إنسـان، بـل هـي علامـة علـى صـراع كبيـر فـي مرحلـة مـن المراحـل. كان خليـل الرحمـن حقانـي، المطلـوب لـدى القـوى العالميـة، وقـد وُضِعـت علـى رأسـه ملاييـن الـدولارات، لكنـه استُشـهد فـي النهايـة علـى يـد أنـاس يضَعـون السـيوف علـى صـدور المسـلمين باسـم الإسـلام. تلـك خسّـةٌ يعدّهـا التاريـخ منً أسـود صفحـات الخيانـة.

إنّ يـد المسـلم إذا ارتفعـت علـى مسـلم، فـإنّ أوّل مـا يعمـى فيـه بصـرُ الإيمـان، ثـم يقطـع شـرايين الأمّـة. الدواعـش الذيـن ينتسـبون زوراً إلـى الديـن، وضعـوا جرحـاً جديـداً فـي جسـد أمـة مثخنـة بالجـراح. مـا عجـز العـدوّ عـن فعلـه بعقـود مـن الحـرب، أقدمـوا هـم عليـه فـي لحظـة ضلال، ولـم يكـن ذلـك جهـاداً ولا رجولـة، بـل انحرافـاً بيّنـاً عـن طريـق الحـقّ؛ ذلـك الطريـق الـذي جعـل اللّه فيـه قتـل النفـس بغيـر حـقّ أعظـم الذنـوب. وإنّ قتـل المجاهـد المسـلم أقبـح الخيانـات تحـت أيّ اسـم أو رايـة. نعـود الآن إلـى حيـاة ذلـك المجاهـد الشـجاع الخـارج مـن نيـران الحـروب، الـذي استُشـهِد علـى يـد خـوارج داعش. ومن مولده إلى شهادته، نُلقي نظرة موجزة على سيرته.

❶ المولد والتعليم:

وُلـد الشـهيد خليـل الرحمـن حقانـي بـن خواجـه محمـد، وحفيـد علـي بادشـاه، قبـل نحـو تسـعة وسـتين عامـاً فـي مديريـة جـردي سـيري بولايـة بكتيـا، فـي قريـة كاريزيغـي عـوض خيـل (قريـة أخوالـه)، فـي كـوخ فقيـر يملكـه المرحـوم خواجـه محمـد. وهـو مـن البشـتون، مـن قبيلـة زدران، ومـن فـرع ميزايـي سـلطان خيل. لـم يتلـقّ تعليمـه الرسـمي فـي مدرسـة أو معهـد، غيـر أنّـه فـي إطـار التعليـم غيـر النظامـي تحمّـل منـذ الطفولـة مشـاقّ الغربـة والسـفر فـي طلـب العلـم، وتربّـى فـي مدرسـة الجهـاد والصبـر والتحمّـل. فـي الخامسـة مـن عمـره بـدأ تلاوة القـرآن الكريـم عنـد والدتـه، ثـم درس كتـب الديـن الأوليـة عنـد إمـام المسـجد، قبـل أن يواصـل دروسـه عند المولوي محمد عمر في قرية عوض خيل.

ثـم درس الكتـب الدينيـة المتقدمـة علـى يـد أخيـه الأكبـر المولـوي جلال الديـن حقانـي رحمـه اللّه، وأثنـاء الهجـرة إلـى بشـتونخوا تابـع مـا تبقّـى مـن دروسـه هنـاك. وفـي تلـك الفتـرة أخـذ دورات طبيـة قصيـرة لمسـاعدة جرحـى المجاهديـن. ومـع بدايـة الاحـتلال السـوفياتي كـرّس جهـده للجهـاد والمقاومـة، فانقطـع عـن التعليـم

الرسمي، لكنه بقي طيلة حياته طالباً للمعرفة، نافذ البصيرة، قويّ الفهم، لا يقلّ في فطنته عن حملة شهادات الماجستير. وكما ورد في كتاب «لوى مصلح ستر غازى»: لم يكن الحاج خليل ذا تعليم عال، لكنه كان ذا عبقرية سياسية فطرية تمكّنه من إدراك أعماق العداوة بين الطرفين. وكان يقول للضباط السوفيات أثناء الاتصال اللاسلكي: «أنتم تجهلون حتى سوء ما تفعلون». كان يتقن البشتو والدرية، ويتحدّث الأوردية، ويُجيد العربية في حدود التفاهم.

2 النضال السياسي والخلفية الجهادية:

إنّ روح الجهاد والشجاعة والانتصار على العدو كانت تجري في دماء الحاج خليل الرحمن حقاني من أسلافه الذين وقفوا في وجه الإنجليز في زرمت بكتيا ولوغر، وهزموهم وقدّموا التضحيات. والأسلحة التي غنموها من الإنجليز استخدمها لاحقاً المولوي جلال الدين حقاني في الجهاد ضد السوفيات.

بعد انقلاب داود خان، حين تمكّن الشيوعيون وبدأوا اضطهاد الإسلاميين، عقد علماء بكتيا بقيادة المولوي جلال الدين حقاني والحاج محمد إبراهيم حقاني ـ وهما أخوا خليل الأكبران ـ مجالس كبيرة وبدأوا حركة جهادية سياسية ضدهم. حاول الشيوعيون اغتيالهما دون نجاح، فانتقلا بتعاون من الناس إلى مناطق آمنة، ثم اضطرت عائلة حقاني للهجرة بعد حصار دام خمسة عشر يوماً.

هاجر الحاج خليل الرحمن مع عائلته، سيراً على الأقدام لخمسة أيام، عام ١٣٥٤هـ ش إلى وزيرستان الشمالية، دته خيل وميرانشاه. وهناك شارك مع أفراد عائلته ولا سيما أخيه المولوي جلال الدين حقاني في مقاومة الشيوعيين والجيش السوفياتي، وكان رفاقه يقولون: في أصعب المعارك، كان صوت الأستاذ حقاني وقوته يتكئان على خليل الرحمن. وفي جهاده ضد أمريكا والناتو، كان في مقدمة الصفوف، واعتُقل حيّاً في ١٥ ديسمبر ٢٠٠٣ أثناء عملية مشتركة أمريكية باكستانية، واتُّهم زوراً بمحاولة تفجير موكب الجنرال مشرف. وبعد أربع سنوات من السجن والتعذيب، سُجن شهراً آخر في بيشاور. وفي ٢٠٠٩ طُرح اسمه للإضافة في لائحة الأمم المتحدة السوداء، وفي ٩ فبراير ٢٠١١ أدرجته وزارة الخزانة الأمريكية في القائمة السوداء تحت الأمر ١٣٢٢٤، ورصدت خمسة ملايين دولار لمن يدلي بمعلومات عنه. لكنه واصل جهاده حتى خروج آخر جندي أمريكي من أفغانستان. قصص انتصاراته محفوظة في صدور رفاقه، بلا أي أثر للهزيمة.

3 دوره في المجالس والوساطات:

بفضل خبرته القبلية والشعبية، كان الحاج خليل الرحمن حقاني من أبرز أهل الإصلاح، وقد ورث ذلك من أسرته التي كان جدّه فيها زعيماً، ثم خلفه عمه غل

محمد خان. وكان يرافق المصلح الكبير المولوي جلال الدين حقاني رحمه الله إلى المجالس، ويتحمّل المشاق من أجل إصلاح النزاعات القبلية. ولم يقتصر دوره على بكتيا الكبرى، بل أسهم أيضاً في حلّ القضايا الوطنية.

وفي الحروب الداخلية، بذل جهوداً كبيرة في المصالحات بين الفصائل، وصبّ ماء الخير على نيران الفتن، وكل من يعمل اليوم في مجال الإصلاح والمصالحة يدرك قيمة تجاربه وسيرته.

4 خصاله ومهاراته:

كان شهيد الحاج خليل الرحمن حقاني مثالاً للتقوى والصبر والصلابة والشجاعة. جمع بين اللين والحزم، وكان محبّاً لمساعدة المحتاجين، صادق الحديث، متقناً للمهام العسكرية. وقد ذكر الكاتب المصري مصطفى حامد في كتابه «بام دنيا» أنه كان ماهراً في استهداف الدبابات، شجاعاً في الصفوف الأولى، لا يُهزم، يتقن قيادة الدبابات وصيانتها. وكان رؤوفاً بالفقراء واليتامى، يقسّم لقمة الطعام معهم، يستدين المال لمساعدتهم إن لم يكن يملك شيئاً. يحب الأطفال ويحنّ عليهم، ويسعى لوحدة القبائل وإطفاء نار الفتن.

وكان واسع الصدر، شديد الاحتمال، عميق النظر، كثير العفو عن الأسرى، يعطيهم الأمان ويخرجهم من المناطق الخطرة. وتحت تأثير رحمته التحق كثيرون به ولم يعودوا إلى أهلهم. لم يردّ صاحب حاجة قطّ، وفي آخر أيام حياته كان وزيراً للاجئين، يفتح أبواب مكتبه للجميع، ولا يغادر قبل أن يوقّع آخر معاملة. ومن أبرز مهاراته قدرته السريعة على بناء العلاقات العسكرية والسياسية، ومعرفة مخططات العدو مسبقاً.

ومع عودة الإمارة الإسلامية، قام بدور كبير في تسليم ولايات مثل قندهار، ننغهار، كنر وغيرها دون قتال، بفضل اتصالاته بمسؤولي النظام السابق.

5 المسؤوليات:

تقلّد الشهيد منذ شبابه إلى آخر حياته مسؤوليات عديدة، منها:

الإشراف على برامج تدريب المجاهدين في الهجرة ورئاسة لجنة حل مشكلات اللاجئين.

- مسؤول عام عن كتيبة الشهيد سليمان شاه زغروال.
- قيادة مجاهدين في خوست وبكتيا وبكتيكا وغزني ولوغر وجلال آباد.
- قائد عسكري لسبعة تنظيمات في فتوحات خوست وبكتيا.
- عضو في المجلس العام للمجاهدين في عهد الدكتور نجيب الله.
- عضو في المجلس الإصلاحي لحل النزاعات خلال الحروب الداخلية.
- ممثل تنظيمه في اجتماع «السباعية» مع وزير الدفاع الأمريكي أثناء انتقال

السلطة من صبغة الله مجددي إلى برهان الدين رباني.
- ممثل قبائل بكتيا في مجلس الحلّ والعقد.
- عضو مجلس تحت إمامة إمام الحرم المكي لإصلاح ما بين قادة الجهاد بعد الانتصار على السوفيات.
- في عهد الإمارة الأولى: مسؤول الحرس الجمهوري ومطار خواجه رواش وقائد جبهات الشمال.
- في مرحلة الاحتلال الأمريكي: قائد مجموعات من المجاهدين، ثم مسؤول عن بناء العلاقات مع مسؤولي حكومة كابل لتسليم العتاد سلمياً ومنع إراقة الدماء.

كما تولّى مرات عديدة مهامّ بالإنابة عن مشرحقاني رحمه الله، وشارك في اجتماعات سياسية وعسكرية، ثم أصبح وزير الهجرة بعد عودة الإمارة. وفي عام ١٤٠٢هـ ش أدّى مهمة إسكان مئات آلاف اللاجئين المرحّلين من باكستان، وسافر إلى دول عدة لحل مشكلاتهم.

6 الأنشطة الثقافية:

كان الحاج خليل الرحمن حقاني محبّاً للكتاب والإعلام، وورث ذلك من أسرته المعروفة بحفظ التاريخ الجهادي. وقد ساعدت جهوده على تدوين سير شهداء الحزب الإسلامي وذكريات الجهاد ضد الاحتلال الأمريكي، أملاً في نشرها مستقبلاً. وكان يتابع الأخبار، يقرأ الصحف، ويشجع المؤلفين، ويدعم المكتبات. وكان على صلة دائمة بالإعلام، يصحب الصحفيين في زياراته، ويجلسهم معه على مائدة واحدة. الخوارج في كل عصر يجددون جراح الأمة؛ يظهرون بثياب الدين وقلوبهم أشد قسوة من الحجارة، لا يرون لدم المسلم قيمة. وقد قال العلماء: من علامات الخوارج أنهم يفرّون من الجوانب اللينة للحق، ويُسلّون سيوفهم على المسلمين. وقد غرسوا الخوف بين أبناء الأمة وفتحوا الطريق للعدو.

7 الشهادة:

وأخيراً، فإنّ هذا الرجل العظيم، المطلوب لدى أمريكا، والذي رُصدت الملايين للقبض عليه، والذي لم يساوم الكفار طوال ثورتين، أكمل خوارج داعش المهمة غير المكتملة لأسيادهم، فاستشهد في الساعة الواحدة والنصف من ظهر يوم ٢١ قوس ١٤٠٣هـ ش في وزارة شؤون المهاجرين إثر هجوم انتحاري.

نحسبه كذلك والله حسيبه.

وشُيّع جثمانه يوم الخميس ٢٢ قوس في مسقط رأسه، ودُفن في مقبرة زرغون روغه.

يا شهيد الإسلام العظيم !

لقـد نجحـت ورحلـت ناجحـاً. سـجّلت فـي تاريـخ الإسلام مواقـف البطولـة بدمـك، والتحقـت ببشـارة رسـول اللّه ﷺ حيـن قـال: «طوبـى لمـن قتلهـم أو قتلـوه». الشـهادة نعمـة لا ينالهـا إلا السـعداء. لقـد كرّسـت حياتـك للدفـاع عـن ديـن اللّه؛ ولقـد كنـت قبل اليوم شهيداً سائراً نحو هذا المقام الرفيع.

يـا شـهيداً سـعيداً ! لقـد استُشـهدت علـى يـد مـن قتـل عثمـان بـن عفـان رضـي اللّه عنـه وهو يقرأ القرآن.

أنـت شـهيدٌ رفيـع المقـام ! ونحـن سـنمضي فـي دربـك، ونحمـل الحيـاة والمـوت فِـداءً لطريقك.

الفصل الثاني
الرابع والعشرون
من شهر أسد

الحرية والاستقلال في نظر الإسلام

سيف الدين

تُعدّ الحرية والاستقلال من أقدم وأقدس تطلعات الإنسان. فكل أمة وكل فرد يريد أن يكون صاحب إرادته، وألا يعيش تحت عبودية أو إذلال أو استبداد الآخرين. غير أن السؤال: «ما هي الحرية الحقيقية؟» و«إلى أي حدود ينبغي أن يكون الاستقلال محصورًا؟» له إجابات مختلفة بين الحضارات والمدارس الفكرية المتعددة. ويقدّم الإسلام لهذا الأمر إطارًا إلهيًا متكاملًا ومتوازنًا؛ إطارًا لا يعني مجرد التحرر من هيمنة المستعمرين والظالمين في الخارج، بل هو أوسع من ذلك، إذ يشمل التحرر الكامل للإنسان في داخله وعقيدته وحياته الاجتماعية. وفي هذا المقال ستتم محاولة تحليل مفهوم الحرية والاستقلال من منظور الإسلام من خلال عدة محاور أساسية مهمة:

- حرية العقيدة والفكر.
- الحرية الفردية أو الكرامة الإنسانية.
- الحرية السياسية وحرية الأرض.
- حدود الحرية من منظور الإسلام.

المعنى اللغوي والشرعي للحرية والاستقلال:

في اللغة العربية، تأتي كلمة «الحرية» في مقابل «العبودية»، أي أن الإنسان لا يكون أسيرًا لدى شخص آخر ولا مملوكًا له. أما «الاستقلال» فهو مأخوذ من مادة «قَلّ»، ويعني الاستقلال وعدم الاحتياج والاعتماد على النفس والوقوف على القدمين؛ أي أن أمة أو حكومة لا تكون تحت رعاية أو هيمنة أو أوامر طرف آخر.

لكن في الاصطلاح الشرعي، فإن هاتين الكلمتين ليستا مطلقتين كما هو الحال في الفكر المادي الغربي، بل هما مرتبطتان بحاكمية الله تعالى؛ فالإنسان يتحرر حقيقةً عندما يعبد الله تعالى وحده، وتكون الأمة مستقلة استقلالًا حقيقيًا عندما تنظّم جميع شؤونها على أساس الشريعة الإلهية، لا وفق إرادة الآخرين ورغباتهم.

المحور الأول: حرية العقيدة والفكر:

يبدأ الإسلام مفهوم الحرية من العقيدة. فالحرية الأصلية والحقيقية هي أن يتحرر الإنسان من كل أشكال عبودية المخلوق والخوف منه وهيمنته، وأن يصبح

عبدًا لله الواحد وحده. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا} [سورة البقرة: 256]

وفي هذه الآية المباركة، ذُكر الكفر بالطاغوت، أي رفض كل سلطة متجبّرة وظالمة، إلى جانب الإيمان بالله تعالى. وهذا الأصل يبيّن أن الحرية الحقيقية تتمثل في التحرر من أسر الحكومات الباطلة والطاغوتية ومن الهيمنة الظالمة، وأن هذا التحرر لا يتحقق إلا بالعبودية الخالصة لله تعالى، وليس بالفوضى غير المسؤولة أو الاستبداد المطلق بالنفس.

ومن أبرز وأجلّ الأمثلة على هذه الحقيقة، الكلمة التاريخية للصحابي الجليل ربعي بن عامر رضي الله عنه التي قالها لقائد الفرس «رستم» في معركة القادسية. فعندما سُئل: لماذا جئتم؟ قال:

«الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه حتى نفيء إلى موعود الله...»

[رواه الطبري في التاريخ: 2/401]

وهذا الجواب الحاسم يوضح الروح الأصلية للفتوحات والدعوة الإسلامية، وهي أن الهدف لم يكن الاستيلاء على الأراضي واستعمارها، وإنما تحرير قلوب الناس من عبودية المخلوق وتوجيهها إلى توحيد الله. ومن هنا، فإن أي نظام سياسي أو اجتماعي يجعل الإنسان عبدًا لإنسان آخر وتابعًا له بصورة مطلقة، سواء كان ذلك باسم الملك أو القومية أو الحزب أو أي قوة أخرى، يُعدّ من منظور الإسلام مخالفًا لروح الحرية الحقيقية ومناقضًا لها.

المحور الثاني: الحرية الشخصية أو الكرامة الإنسانية:

لقد منح الإسلام الإنسان مكانة خاصة وتكريمًا عظيمًا، دون النظر إلى عِرقه أو لونه أو لغته أو مكانته الاجتماعية. يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} [سورة الإسراء: 70]

وكان هذا الأصل الحاسم هو الذي أدى خلال الحضارة الإسلامية إلى إيجاد منهج أخلاقي وفقهي واسع في مواجهة الرق والعبودية؛ ولذلك أصبح تحرير العبيد عملًا عظيم الأجر، وأحد أشكال الكفارة عن عدد كبير جدًا من الذنوب.

وفي هذا السياق، وردت أيضًا في الآثار التاريخية مقولة منسوبة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث قال:

«متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟» [كتاب الولاية على البلدان]

ومع أن هناك نقاشات علمية بين المحدثين حول سند هذه القصة، وينبغي ذكرها باعتبارها أثرًا مشهورًا لا باعتبارها رواية ثابتة صحيحة؛ فإن المعنى العميق لهذه المقولة ينسجم بصورة كاملة مع المبادئ العامة للقرآن والسنة، وقد حظي على امتداد التاريخ بتأييد واسع في ترسيخ الكرامة الإنسانية والحرية.

وبطبيعة الحال، فإن حرية العقيدة والفكر أو الحرية الشخصية في الإسلام لا تعني أن الإنسان يستطيع أن يفعل كل شيء وفق مزاجه وهواه، بل إن الحرية في جميع المجالات تظل مرتبطة بحدود الشريعة، كما سيأتي توضيحه في المباحث اللاحقة.

المحور الثالث: الحرية السياسية وحرية الأرض:

لا يقتصر الإسلام على الحرية العقدية والفردية، بل يعتبر استقلال الأمة وسلامة أراضيها ووحدة ترابها من المقاصد الأساسية المهمة للشريعة.

وعندما تقوم قوة أجنبية معتدية بالعدوان على أرض إسلامية، فإن الدفاع عن هذه الأرض ومقاومة المعتدين الخارجيين، وهو ما يسميه الفقهاء «جهاد الدفع»، يصبح فرض عين على جميع سكان تلك الأرض.

يقول الله تعالى:

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} [سورة البقرة: 193]

ويقول سبحانه أيضًا: {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ} [سورة النساء: 7]

وقد أكد علماء بارزون في الفقه الإسلامي، مثل الإمام ابن تيمية رحمه الله وغيره، على هذا الأصل، وهو أن حكم الجهاد الدفاعي، أي حماية الأرض والعرض والدين من المعتدي الخارجي، مقدّم على غيره من العبادات المفروضة؛ لأن الأولويات الدينية الأخرى لا يمكن تطبيقها دون حماية الدين والنفس والمال والأرض.

ولهذا فإن تاريخ الإسلام مليء بحركات مقاومة مجيدة خاضها المسلمون ضد المستعمرين الأجانب. ويُعد تاريخ أفغانستان مثالًا واضحًا على هذه الحقيقة الحاسمة؛ فقد حافظ الأفغان عبر تاريخهم على حريتهم البطولية في مواجهة الاستبداد والعدوان الخارجي. ومن أبرز مآثرهم القائمة على الغيرة والإيمان ذلك الصمود المتواصل لأجيال متعاقبة في مواجهة ثلاث إمبراطوريات متغطرسة، والذي يُعدّ انتصارًا عظيمًا.

وقد خاض قادة هذه الأرض المؤمنة الشجعان، خلال الحروب التاريخية الثلاث بين الإنجليز والأفغان (1839–1919م)، مقاومة تاريخية ضد الاستعمار البريطاني

دفاعًا عن الدين المقدس والوطن، وقد أثمرت تلك المقاومة في 28 أسد 1298هـ شمسية، الموافق 18 أغسطس 1919م، بإعلان الاستقلال السياسي والدبلوماسي الكامل في مشهد مهيب.

وبعد فترة، عندما شنّ المعسكر الشيوعي هجومًا على هذه الأرض، قدّم أبناء أولئك الآباء الشجعان تضحياتهم على نهج آبائهم، وخاضوا جهادًا ومقاومة استمرا عشر سنوات (1979–1989م / 1358–1367هـ شمسية)، حتى أجبروا القوات المتغطرسة للاتحاد السوفيتي على الانسحاب من البلاد في 26 دلو 1367هـ شمسية، الموافق 15 فبراير 1989م.

وفي الفصل الأخير والأكثر إثارة للدهشة، اتبع أحفاد هذه الأرض الشجعان مسارًا بطوليًا استمر عقدين (2001–2021م) في مواجهة أكبر تحالف عسكري في العصر والاستعمار الأمريكي.

وخلال هذين العقدين القاسيين، قاد إمارة أفغانستان الإسلامية هذه المعركة بعزم إيماني بالغ، وتضحيات غير مسبوقة، وقيادة حكيمة؛ حيث أقاموا في مواجهة مختلف أنواع التكنولوجيا العسكرية المتطورة والقوة المفرطة وحدة لا تنفصم بين الشعب والمجاهدين، ونظامًا سياسيًا وعسكريًا بالغ التنظيم، وقد تمكنوا بفضل تضحياتهم غير المسبوقة وتقواهم وشجاعتهم التي لا حدود لها من تحقيق معجزة جديدة.

وقد انتهى هذا النصر الواضح والانتصار الشجاع بإعادة السيطرة على كابل في 24 أسد 1400هـ شمسية، الموافق 15 أغسطس 2021م، وبإنهاء الاحتلال الأمريكي وهزيمته بصورة كاملة.

وتحتفل إمارة أفغانستان الإسلامية بهذا اليوم المجيد، 24 أسد، باعتباره تجسيدًا جديدًا للفخر والحرية والاستقلال الإسلامي بصورة غير مسبوقة.

وعلى الرغم من اختلاف سياق وظروف هذه الانتصارات التاريخية الثلاثة، فإن هذه البطولات الاستثنائية تمثل ثلاث حلقات بارزة في سلسلة تاريخية لا تنقطع؛ مسارًا ذهبيًا متواصلًا من الأجداد والآباء إلى الأحفاد الحاليين وإمارة أفغانستان الإسلامية، يثبت بوضوح أن الشعب الأفغاني الغيور حافظ دائمًا على راية الاستقلال مرفوعةً وخفاقةً وعزيزة.

المحور الرابع: حدود الحرية من منظور الإسلام

إن الخط الفاصل بين الفكر الإسلامي والفكر الليبرالي الغربي يكمن في تعريف الحرية.

فالإسلام يضع للحرية حدودًا، بينما تُعرّف الحرية في المفهوم الغربي بأنها نوع

مـن الاسـتقلالية المطلقـة للفـرد، بحيـث يسـتطيع الإنسـان أن يفعـل فـي حياتـه وجسـده وعقيدتـه وأخلاقـه كل مـا يريـد، حتـى لـو أدى ذلـك إلـى تجـاوز حـدود الشريعة.

أمـا الإسلام فيرفـض بصـورة كاملـة مفهـوم الحريـة التـي تكـون بلا حـدود ولا قانـون؛ لأن الحريـة، شـأنها شـأن أي حـق آخـر، مرتبطـة بالمسـؤولية. والإنسـان عبـد للّه تعالـى، ولذلـك فـإن حريتـه لا يمكـن أن تتجـاوز إطـار الشـريعة الإلهيـة والمسـؤولية الإيمانيـة. ومـن حصـل علـى سـلطة التصـرف وفـق إرادتـه، تقـع علـى عاتقـه فـي المقابـل مسـؤولية ثقيلـة تتمثـل فـي العـدل والأمانـة وحفـظ حقـوق الآخرين.

فالحريـة مـن دون العـدل والأحـكام الشـرعية، مـن منظـور الإسلام، ليسـت سـوى فتنـة وليست حرية حقيقية.

وهـذه القاعـدة نفسـها تنطبـق أيضًـا علـى مجـال الحكـم السياسـي؛ لأن الاسـتقلال فـي الإسلام لا يعنـي فقـط إخـراج المعتـدي الأجنبـي مـن الأرض، بـل يشـمل أيضًـا إقامـة العـدل الإلهـي فـي الداخـل، وتطبيـق الأحـكام الشـرعية، والأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر، واجتثـاث جـذور الشـر والفسـاد الاجتماعـي، وحمايـة الحقـوق الشـرعية لعامـة المسـلمين. وكل هـذه الأمـور تعـدّ أجـزاءً لازمـة لا تنفصـل عـن الاسـتقلال الحقيقـي. وقـد قـال اللّه تعالـى فـي شـأن الحـكام وإيصـال الأمانـات والحكـم بالعـدل: {إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُكُـمْ أَن تُـؤَدُّوا الْأَمَانَـاتِ إِلَـىٰ أَهْلِهَـا وَإِذَا حَكَمْتُـم بَيْـنَ النَّـاسِ أَن تَحْكُمُـوا بِالْعَـدْلِ} [النساء: 58] وكذلـك يقـول سـبحانه فـي شـأن تطبيـق الشـريعة وإقامـة الصـلاة عنـد التمكيـن والسـلطة: {الَّذِيـنَ إِن مَّكَّنَّاهُـمْ فِـي الْأَرْضِ أَقَامُـوا الصَّـلَاةَ وَآتَـوُا الزَّكَـاةَ وَأَمَـرُوا بِالْمَعْـرُوفِ وَنَهَـوْا عَـنِ الْمُنكَـرِ} [الحج: 41] وإلـى جانـب ذلـك، يقـدّم توجيهًـا واضحًـا بشـأن الأمـن الاجتماعـي ومنـع الفسـاد، فيقـول: {وَلَا تَبْـغِ الْفَسَـادَ فِـي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّـهَ لَا يُحِـبُّ الْمُفْسِـدِينَ} [القصص: 77] ومـن ذلـك يتضـح أن الاسـتقلال الكامـل يقـوم علـى رابطيـن متصلين لا ينفصـل أحدهمـا عـن الآخر:

الأول: القضاء على الجذور العسكرية والفكرية لنظام الاحتلال الخارجي.

والثانـي: إقامـة الحكـم الشـرعي والعـدل فـي الداخـل، ومحـو المنكـرات، وإنهـاء قوانين الطاغوت.

فـإذا خـرج المعتـدي الخارجـي فقـط، ولـم تُطبّـق الأحـكام الشـرعية والعـدل الإلهـي فـي الداخـل، ولـم تُلـغَ قوانيـن الطاغـوت، فـإن هـذا الاسـتقلال، مـن منظـور الإسلام، يُعدّ ناقصًا وبعيدًا عن مفهومه الحقيقي الكامل.

وفـي العصـر الحالـي، إمـارة أفغانسـتان الإسلاميـة هـو الممثـل الحقيقـي والوحيـد

لهـذا الاسـتقلال الإسلامـي المتـوازن، والحريـة الشـرعية، والسلسـلة التاريخيـة العميقـة للأبطـال؛ إذ اسـتطاع هـذا النظـام، مـن جهـة، خلال مقاومـة اسـتمرت عشـرين عامًا كمعجـزة، أن يطـوي صفحـة الاحـتلال الخارجـي وتحالـف الناتـو، ومـن جهـة أخـرى، أن يحافـظ فـي داخـل الـبلاد العزيـزة علـى تطبيـق الشـريعة الإلهيـة، والأمـنٍ، والقضـاء علـى الفسـاد، وأن يُبقـي رايـة الحكـم الإسلامـي المسـتقل مرفوعةً في ظل سيادة كاملة.

جرائم ووحشية الغزو الصليبي في أفغانستان

ساجد جلان

المقدمة:

تحولت أفغانستان، في مطلع القرن الحادي والعشرين، مرة أخرى إلى ساحة للعدوان الوحشي الذي شنته القوات الأجنبية الغازية. فبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول 2001م، بدأت أمريكا المتغطرسة، تحت الشعار الكاذب والمضلل المسمى «الحرب على الإرهاب»، هجوماً عسكرياً لا أساس له على الشعب الأفغاني المظلوم. وفي السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2001م، بدأ الغزاة الأمريكيون وحلفاؤهم البريطانيون شن غارات جوية وحشية على الأراضي الأفغانية، ثم انضمت لاحقاً دول عديدة من أعضاء حلف الناتو إلى المهمة العسكرية في أفغانستان.

وعلى الرغم من أن القوات الأجنبية المحتلة كانت ترفع شعارات زائفة ولا أساس لها حول الأمن وحقوق المرأة وإعادة الإعمار، بهدف إخفاء أهدافها المشؤومة، فإن النتيجة القاسية لهذا الاحتلال والعدوان الذي استمر عشرين عاماً على الشعب الأفغاني لم تكن في الواقع سوى المآسي، ودمار المنازل وسفك الدماء. وقد طال أمد الحرب، وتحولت القرى والمدن إلى ساحات للمناورات العسكرية لقوات الاحتلال الأمريكي ووكلائها المحليين، الأمر الذي جعل المدنيين الأبرياء عالقين بين الغارات الجوية العمياء للقوات الأجنبية، والعمليات الليلية الوحشية، ومداهمات القوات الغازية المحتلة.

وألقت أمريكا وحلفاؤها الصليبيون كامل عبء الهيمنة العسكرية والعدوان على الأراضي الأفغانية على عاتق الأفغان، فيما لعب جنود إدارة كابل العميلة دوراً عسكرياً إلى جانب الغزاة ضد شعبهم، خدمةً لمصالح الأجانب. وبوجه عام، كانت النتائج الإنسانية لهذه الحرب التي استمرت عشرين عاماً ثقيلة وغير مسبوقة على الشعب الأفغاني. وقد نشرت بعثة الأمم المتحدة للمساعدة في أفغانستان (UNAMA) تقارير منتظمة لتوثيق الضحايا المدنيين في الحرب، وسجلت فيها وثائق عن الانتهاكات التي ارتكبها الطرف المعتدي.

وتتناول هذه المقالة تلك الفظائع والكوارث والآلام التي شهدها شعبنا الأفغاني المجاهد خلال العشرين عاماً من الاحتلال الأمريكي، وتحت الظل الجائر والدموي لحلفائه الصليبيين ووكلائه المحليين.

الفصل الأول:

بداية العدوان الأمريكي المعتدي على أفغانستان

وقعت أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول 2001م في الولايات المتحدة الأمريكية. وبعد هذه الأحداث، حملت الحكومة الأمريكية الاستكبارية تنظيم القاعدة مسؤولية ما حدث، وطالبت حركة طالبان بتسليم قادة تنظيم القاعدة، واتخذت من ذلك ذريعة، دون تقديم أي أدلة موثوقة أو إجراء تحقيقات محايدة، ومهدت الطريق للعدوان العسكري على أفغانستان. وبدلاً من اللجوء إلى الوسائل السياسية والدبلوماسية، رفض الحكام الأمريكيون المنطق والحوار بسبب الاستكبار والرغبة في الهيمنة والعداء العميق، ولجؤوا إلى القوة العسكرية والمطالب العدوانية ضد الأراضي الأفغانية.

وفي السابع من أكتوبر/تشرين الأول، بدأ الغزاة الأمريكيون وحلفاؤهم الصليبيون شن غارات جوية جائرة على مناطق مختلفة من الشعب الأفغاني المظلوم. وعلى الرغم من أن الغزاة الأجانب زعموا في البداية أن هذه الضربات ستقتصر على مناطق محدودة، فإن الواقع كان أن قرانا ومنازلنا وبنيتنا التحتية المدنية حوصرت بأسلحة قوات الاحتلال المتطورة والفتاكة بكل وحشية، وسقط خلالها مدنيون أبرياء شهداء.

وفي وقت لاحق، وسّع التحالف الصليبي وجوده العسكري في أفغانستان، وفرض على الشعب الأفغاني حرباً دموية ولا إنسانية استمرت عشرين عاماً. تلك الحرب التي قُدّمت في بدايتها على أنها عمليات عسكرية سريعة، تحولت تدريجياً إلى حرب طويلة امتدت لعشرين عاماً، وعادت أفغانستان مرة أخرى إلى قلب المعارك الضارية بين الغزاة الأجانب ووكلائهم المحليين؛ وكان الشعب المدني هو الذي دفع الثمن الأكبر.

الفصل الثاني:

القصف الجوي؛ الرعب والموت الهابطان من سماء المحتلين الأجانب !

كان الاستخدام الواسع والوحشي للطائرات الحربية المتطورة، والطائرات المسيّرة، والغارات الجوية العنيفة، من أبرز السمات الكبيرة والدموية لجرائم الغزاة الأمريكيين وحلفائهم في حلف الناتو. وكان المعتدون ووكلاؤهم المحليون يطلقون على هذه العمليات، كذباً، وصف «الضربات الدقيقة» من أجل إخفاء جرائمهم وتبريرها؛ إلا أن نتائج المعلومات الخاطئة، وتحديد الأهداف بصورة غير صحيحة، والأخطاء الاستخباراتية، في البيئة الجغرافية والريفية المعقدة لأفغانستان، كانت تتمثل يومياً في تحول المواطنين الأبرياء، والقرويين المظلومين، والنساء والأطفال، إلى أشلاء مختلطة بالتراب والدماء

تحت القصف العنيف للطائرات الأجنبية.

حادثة غراناي الوحشية؛ فراه، 2009م:

في مايو/أيار 2009م، أبلغ عن مقتل عدد كبير من الأشخاص جراء الغارات الجوية الأمريكية في منطقة غراناي التابعة لمديرية بالابلوك في ولاية فراه.

وكان إخفاء الحجم الدقيق لضحايا هذه الجريمة الوحشية أمراً معتاداً لدى قوات الاحتلال؛ إلا أن الحقيقة هي أن عشرات الأفغان الأبرياء، وكان معظمهم من الأطفال والنساء، استشهدوا على أيدي الطائرات الأمريكية بعد أن مزقتهم القنابل إلى أشلاء. فمن الإدارة العميلة في كابل وصولاً إلى الغزاة الأجانب، حاول الجميع التقليل من حجم هذه الجرح الدامي في جسد الشعب الأفغاني، إلا أن هذه الحادثة أصبحت واحدة من أكثر النماذج وحشية للجرائم الإنسانية التي ارتكبتها قوات الاحتلال الأمريكي بحق المدنيين في تاريخ الاحتلال الأمريكي.

ولم يكن المعنى الجائر لمثل هذا الهجوم الذي شنه المحتلون على قرية مجرد تدمير بضعة منازل؛ بل كان دفن عشرات الأسر تحت الأنقاض، وفقدان الأب والابن والأم والطفل بصورة مفجعة. ففي هذه الجريمة الكبرى فقدت عشرات الأسر الأفغانية، في لحظة واحدة، كل ما تملك وأقرب أحبائها.

مآسي شيندند المليئة بالرعب بولاية هرات:

كذلك صدرت تقارير واسعة عن سقوط ضحايا مدنيين جراء الغارات الجوية في عام 2008م في مديرية شيندند بولاية هرات. وقدمت أرقام مختلفة بشأن عدد الضحايا، إلا أن الغزاة الأجانب ووكلاءهم المقيمين في كابل لم يتمكنوا من طمس حقائق هذه الأحداث والأرقام الدقيقة للشهداء الأفغان.

وكان أكثر ما يؤلم في مثل هذه الحوادث الوحشية أن الناس الذين كانوا بعيدين عن ساحة القتال الأساسية لم يكونوا بمنأى عن خطر الموت. فلم يكن القروي يعرف ما إذا كان صوت الطائرة ليلاً سيحمل الخبر الأخير للحياة أو الموت إلى أي منزل.

الفصل الثالث:

القصف الإجرامي لمستشفى قندوز؛ انتهاك الإنسانية والحياد الطبي

في الثالث من أكتوبر/تشرين الأول 2015م، شنّت قوات الاحتلال الأمريكية غارة جوية وحشية على مستشفى «أطباء بلا حدود» أو (MSF) في مدينة قندوز. وتُعد هذه الحادثة من أشهر وأكثر الأحداث إيلاماً في حرب أفغانستان.

ووفقاً لتقارير منظمة أطباء بلا حدود، قصفت الطائرات الأمريكية المعتدية المبنى الرئيسي للمستشفى بصورة متواصلة ودون توقف لمدة ساعة على

الأقل، في الوقت الذي كان فيه مرضى بحاجة إلى رعاية عاجلة، وجرحى عاجزون، وعاملون طبيون موجودين داخله. وأسفر هذا الهجوم الوحشي عن مقتل 42 إنساناً بريئاً، من بينهم عاملون طبيون ومرضى.

وكانت هذه الكارثة مؤلمة بصورة خاصة لأن المستشفى كان المكان الأكثر أمناً لإنقاذ حياة ضحايا الحرب. إلا أن المرضى الذين وصلوا إلى المستشفى لتلقي العلاج أصبحوا هم أنفسهم ضحايا للقصف الجوي.

وبموجب قوانين الحرب، تتمتع المستشفيات والمراكز الطبية بحماية خاصة، إلا أن حادثة قندوز أعادت لفت أنظار العالم إلى أن المعتدين الأمريكيين، بما أظهروه من غرور غير مسبوق وانعدام للمشاعر الإنسانية، لم يرحموا حتى المراكز الطبية التي تستقبل الحالات الطارئة. ولذلك عرّضوا، في ساحة حربهم الوحشية، سلامة المرضى والعاملين الطبيين للخطر أيضاً. وبعد ذلك، حاولت الحكومة الأمريكية الإجرامية التغطية على وحشيتها المفجعة، ووصفت هذه الجريمة الإنسانية الواضحة بأنها مجرد «خطأ»، إلا أن كلمة «خطأ» لم تكن قادرة على إعادة الضحايا إلى أسرهم.

الفصل الرابع؛

المداهمات الليلية والفظائع؛ عندما تحولت حرمة الأفغان المظلومين إلى ساحة لظلم القوات الأجنبية

كانت المداهمات الليلية واحدة من أكثر ممارسات الاحتلال الأمريكي الذي استمر عشرين عاماً وحشية، وأكثرها مخالفة للثقافة والكرامة الأفغانية. وكانت القوات الأمريكية المعتدية، وقواتها المحلية العميلة والتابعة، تنفذ ليلاً مداهمات على منازل الأفغان، استناداً إلى تقارير استخباراتية باطلة ومغرضة ومشحونة بالعداء.

وفي كثير من القرى الأفغانية، كان طرق الباب ليلاً أو سماع صوت المروحية يعني بالنسبة للناس رسالة خوف وحزن واستشهاد.

مشهد عام من المداهمات الليلية

تخيلوا أن أسرة نائمة في منزلها ليلاً. الأطفال والنساء وكبار السن موجودون في البيت. وفجأة يُسمع صوت المروحية، وتُحاصر المنطقة، ويُفجّر باب المنزل بالقنابل، ثم يدخل المسلحون الأجانب ووكلاؤهم المحليون إلى الغرف. يُهان رجال الأسرة ويُقيّدون، وترتفع صرخات النساء والأطفال إلى السماء، ثم تُفتش الغرف الفارغة فقط بناءً على الشبهات الشخصية والتقارير التي لا أساس لها، ويُعتقل عدد من أفراد الأسرة كأسرى؛ فما أفظع هذا الوضع!

وقد أكدت منظمات حقوق الإنسان، في عشرات التقارير الموثقة، أن قوات الاحتلال وقواتها المعتدية والعميلة، مثل وحدات «صفر واحد» و«صفر اثنين»، أطلقت النار، دون محاكمة، على مئات الأفغان الأبرياء والقرويين المظلومين داخل منازلهم وأمام أفراد أسرهم بكل وحشية، وأنها أخفت بعضهم قسراً واعتقلت آخرين.

ووفقاً للثقافة الأفغانية، فإن المنزل هو مركز كرامة الإنسان وحرمة حياته الخاصة. ولذلك كان دخول المنازل ليلاً وترويع النساء والأطفال يُنظر إليه لدى كثير من الأفغان، إلى جانب كونه عدواناً عسكرياً، باعتباره انتهاكاً وجريمة لا تُغتفر بحق حرمة الأسرة.

الفصل الخامس:

السجون والتعذيب وإهانة كرامة الإنسان

خلال سنوات الاحتلال التي استمرت عشرين عاماً، اعتُقل عدد لا يحصى من الأفغان من قبل الغزاة الأجانب وأجهزة استخباراتهم التي باعت وطنها، استناداً إلى شبهات لا أساس لها واتهامات كاذبة، ثم أودعوا مراكز تعذيب مناهضة للإنسانية. وقد نُقل بعضهم إلى مركز الاحتجاز الظالم في باغرام، فيما نُقل عشرات آخرون إلى سجون صليبية وسرية خارج الأراضي الأفغانية.

سجن باغرام سيئ السمعة والجهنمي

كانت قاعدة باغرام الجوية، طوال فترة الاحتلال، أبرز مركز للظلم والتعذيب والإيذاء الذي مارسته القوات الأمريكية الغازية. وعلى الرغم من أن القوات الأجنبية وإدارة كابل العميلة حاولتا إخفاء حقيقة هذا السجن، فإن الحقائق التي خرجت منه أثبتت أن أساليب وحشية ومهينة وقاسية من التعذيب كانت تُستخدم ضد الأسرى في باغرام، وهي أساليب نادرة المثال في التاريخ البشري.

ولم يكن ألم السجين مقتصراً على زنزانة السجن وأدوات التعذيب الأمريكية؛ بل كانت أسرته أيضاً تحترق في سجن نفسي من الجهل بمصيره والحزن عليه.

كانت الأم لا تعرف أين يوجد ابنها، والزوجة لا تعرف ما إذا كان زوجها على قيد الحياة أم أن الجلادين الأمريكيين قتلوه تحت التعذيب، وكان الأطفال ينتظرون عودة أبيهم.

النقل القسري للأفغان إلى غوانتانامو:

نُقل عدد من الأفغان أيضاً، خلال السنوات الأولى للحرب، إلى السجن سيئ السمعة والمخيف المعروف باسم GUANTANAMO BAY DETENTION CAMP.

وظل هذا السجن لفترة طويلة موضع انتقادات منظمات حقوق الإنسان في العالم، لأن بعض المعتقلين كانوا يُحتجزون لفترات طويلة دون محاكمة

رسمية.
ومن الناحية القانونية، لكل إنسان الحق في محاكمة عادلة؛ إلا أن كثيراً من الأفغان واجهوا، في بيئة الحرب تلك، أوضاعاً استمرت فيها سنوات دون أن يتضح مصير قضاياهم.

الفصل السادس:

مقتل الأطفال وإصابة جيل كامل بجراح

الحرب لا تميز بين الطفل والبالغ. فعندما تسقط القنبلة على سطح المنزل، فإنها لا تقول للطفل: أنت لست طرفاً في الحرب.
وخلال الحرب في أفغانستان، كان الأطفال ضحايا للغارات الجوية والمعارك البرية والانفجارات والنزوح. وفقد آلاف الأطفال آباءهم وأمهاتهم.
وعندما يستيقظ طفل صغير مذعوراً على صدى المروحيات الأمريكية والقصف، ويرى تراب فناء منزله ودماء والديه الشهيدين، فإن بقية حياته تتحول، بسبب هذه الحرب التي فرضتها القوات الأجنبية، إلى حداد وعذاب دائمين.
أصبح بعض الأطفال أيتاماً، وأصيب بعضهم بجروح، بينما أصيب آخرون بإعاقات جسدية مدى الحياة. وقد جرحت هذه الحرب المفروضة عدداً كبيراً جداً من أبناء جيل كامل، ليس مادياً فحسب، بل نفسياً أيضاً. فالأطفال الذين كان ينبغي أن يتعرفوا إلى عالم الكتب والمدرسة والألعاب، أصبحوا يعرفون أسماء الدبابات والطائرات والانفجارات والموت.

الفصل السابع:

الألم المفجع للمرأة الأفغانية: الضحية الأكثر خفاءً وثقلاً للاحتلال الأجنبي

كانت الدول الغربية المعتدية طوال عشرين عاماً ترفع، لتبرير هجومها العسكري الذي لا أساس له والاحتلال الأمريكي، شعارات ماكرة وكاذبة حول «حقوق المرأة»؛ إلا أن النساء الأفغانيات المظلومات أنفسهن تحملن، في الواقع، الجانب الأكبر والأكثر إيلاماً من الهجمات الدموية التي شنتها القوات الأجنبية ووكلاؤها.
عندما يصبح منزل ضحية لغارة جوية أو حرب، تصبح حياة المرأة أكثر صعوبة بأضعاف؛ لأنها تفقد زوجها أو ابنها أو والدها، ثم تقع على عاتقها رعاية الأطفال، والمشكلات الاقتصادية للأسرة، وآلام فقدان المعيل.
وفي كثير من الأسر، أصبحت النساء أرامل بسبب الحرب، وأصبح الأطفال بلا آباء. واضطرت بعض النساء إلى النزوح من منازلهن، وواصلن حياتهن في ظل الهجرة والفقر.
ولذلك، ينبغي تقييم كل شعار سياسي يُرفع باسم «تحرير المرأة» من قبل

المحتلين في أعماق صرخات ودموع ودماء عدد لا يحصى من الأرامل والأمهات المظلومات اللواتي فقدن حياتهن السعيدة وأسرهن بأكملها بسبب أسلحة القوات الأجنبية المعتدية.

الفصل الثامن:

تدمير القرى والمنازل والحياة العامة

أفغانستان بلد يغلب عليه الطابع الريفي. وعندما تدخل الحرب إلى قرية، فإنها لا تدمر موقعاً عسكرياً واحداً فحسب؛ بل تضطرب منظومة حياة الناس بأكملها.

وفي هلمند وقندهار وفراه وكونر وننغرهار وبكتيا وبكتيكا وغيرها من الولايات، اضطر كثير من الناس إلى ترك منازلهم بسبب الحرب والعمليات العسكرية.

فالمزارع الذي يترك منزله لا يترك مجرد مبنى من الطوب؛ بل يترك أرضه ومحصوله وماشيته وثمرة سنوات من الكد والعمل.

والتاجر يفقد سوقه.

والطفل يترك مدرسته.

والأم تفقد أمن منزلها.

وبهذه الصورة، أدّى تنفيذ الاحتلال الأمريكي الظالم الذي استمر عشرين عاماً إلى إضعاف شديد للأسس الاجتماعية والاقتصادية للشعب الأفغاني المظلوم، وألحق بالبلاد أضراراً جسيمة وتاريخية.

الفصل التاسع:

النزوح القسري؛ إخراج الأفغان من منازلهم بسبب الاحتلال

بسبب العمليات الدموية للاحتلال الأمريكي ووكلائه المحليين، واجه ملايين الأفغان النزوح والفقر داخل البلاد وخارجها.

والنزوح القسري لا يعني مجرد مغادرة مكان جغرافي، بل يعني أن الأفغاني، بسبب قصف الغزاة الأجانب ومظالمهم، ينفصل عن مجتمعه وأقاربه ومسجده ومدرسته وسوقه وكل البيئة التي عاش فيها سنوات طويلة.

معاناة الأسرة النازحة

تخيلوا أسرة تضطر، بسبب الحرب، إلى مغادرة منزلها في ظلمة الليل. لا تحمل معها سوى بعض الملابس وطفل وقليل من الطعام. وعندما يأتي الصباح، لا تعرف هل سترى منزلها مرة أخرى أم لا.

وفي حياة النازحين تزداد مشكلات المأوى والغذاء والمياه النظيفة والعمل والتعليم، بل وحتى أبسط الحقوق الإنسانية.

ولهذا، فإن ضحية الحرب التي فرضتها الغطرسة الأمريكية ليست فقط ذلك

الشهيد البطل الذي يسلم روحه إلى خالقه في قصف الغزاة؛ بل إن الطفل الذي أخرج من منزله هو أيضاً ضحية حية لهذا العدوان الأمريكي، لأنه حُرم، بسبب جرائم الاحتلال، من تعليمه الديني والعصري.

الفصل العاشر:

التناقض بين شعار حقوق الإنسان والواقع العملي

كانت أمريكا وحلفاؤها الغربيون يتحدثون كثيراً عن حقوق الإنسان، وسيادة القانون، وكرامة الإنسان خلال سنوات الحرب في أفغانستان.

لكن وقعت في ساحة الحرب أحداث أثارت أسئلة جدية حول هذه الشعارات ذاتها.

إذا كان معنى حقوق الإنسان هو حق كل إنسان في الحياة، فلماذا لم يكن المدنيون في مأمن من الغارات الجوية؟ وإذا كانت سيادة القانون مهمة، فلماذا استمرت قضايا بعض المعتقلين لسنوات وسنوات دون محاكمة شفافة؟ وإذا كانت كرامة الإنسان مبدأ أساسياً، فلماذا ظهرت تقارير عن التعذيب وسوء المعاملة والإهانات التي تجاوزت حدود التصور، والتي تعرض لها المعتقلون على أيدي الجلادين الأمريكيين في سجون باغرام وغوانتانامو وقندهار وغيرها من المناطق؟ وإذا كانت حماية النساء والأطفال الأفغان ذريعة لهذا الوجود الأجنبي الذي استمر عشرين عاماً، فلماذا أصبحت الأمهات الأفغانيات أنفسهن أرامل، والأطفال أيتاماً، وقراهم ومنازلهم تحترق في نيران البارود والحرب التي أشعلها الغزاة الأمريكيون وإداراتهم العميلة؟ إن هذه الأسئلة المريرة جزء من الذاكرة التاريخية للشعب الأفغاني في مواجهة العدوان الأجنبي، وهي في الوقت نفسه جرح عميق لا يُمحى من عشرين عاماً من الاحتلال الأمريكي.

الفصل الحادي عشر:

المسؤولية التاريخية للاحتلال الأجنبي المعتدي وكوارثه

إن مقتضى الإنصاف التاريخي والحقيقة هو أن تُعرض صورة واضحة للحرب والجرائم التي فُرضت على أفغانستان طوال عشرين عاماً، وأن تتم معالجة قضية ضحايا الحرب بصورة شاملة.

إن السبب الأساسي والجوهري لهذه المأساة الدموية التي استمرت عشرين عاماً، وما رافقها من دمار ومجازر جماعية بحق الأفغان الأبرياء، هو فقط العدوان والاحتلال العسكري الذي شنته الغطرسة الأمريكية وحلفاؤها الصليبيون على أفغانستان. فلو لم يغزُ المعتدون الأجانب أرضنا الطاهرة، لما تعرض شعبنا لمثل هذه الكارثة والحروب التي أشعلت والصراعات الداخلية.

وقد حوّل المحتلون الأجانب وقواتهم المحلية العميلة أرضنا الطاهرة، خدمةً لأهدافهم غير المشروعة، إلى ميدان للتجارب العسكرية الوحشية. وسفكت

غاراتهم الجوية العمياء، ومداهماتهم الليلية، وعمليات القتل خارج نطاق المحاكم، وعمليات التدمير واسعة النطاق، دماء آلاف الأفغان المظلومين.

إن المعتدين الأجانب وحلفاءهم المحليين مسؤولون بصورة مباشرة عن جميع هذه الجرائم الإنسانية والتاريخية، ولن يتمكنوا أبداً من الفرار من هذه المسؤولية التاريخية والأخلاقية.

وبالنسبة إلى الشعب الأفغاني المظلوم، الذي كانت كل أسرة فيه تجلس أمام جثامين أبنائها وأمهاتها وأطفالها الذين سقطوا ضحايا لوحشية العدوان الأجنبي، فإن جريمة المحتل الظالم واضحة؛ ولن تنسى أخوات وأمهات هؤلاء الشهداء المظلومين أبداً مظالم العدوان الأجنبي ووكلائه.

الفصل الثاني عشر:

الوحشية الاقتصادية المدمرة للاحتلال الأجنبي

كان من أشد الأضرار طويلة الأمد للعدوان الأمريكي الذي استمر عشرين عاماً والوجود الظالم لحلف الناتو في أفغانستان، التدمير شبه الكامل للاكتفاء الاقتصادي والبنية التحتية في بلادنا.

وخلال عشرين عاماً من الاحتلال، أبقى الأجانب الغاصبون والإدارة العميلة الفاسدة التي كانت تتحرك بإشارتهم، اقتصاد أفغانستان الحقيقي، بدلاً من دفعه نحو النمو، في مرحلة زائفة ومضللة مكرسة لنفقاتهم العسكرية والاستخباراتية قصيرة الأمد. وعلى الرغم من أن الغطرسة الأمريكية كانت تدعي تنفيذ مشاريع كثيرة لإعادة الإعمار، فإنها في الحقيقة كانت توزع الأموال والثروات على الدوائر الفاسدة وداعميها، بينما دمرت الأسس الاقتصادية الحقيقية لأفغانستان.

الحرب لا تترك مجالاً آمناً للسوق.

وحين لا يكون هناك أمن، لا تأتي الاستثمارات.

وحين لا توجد استثمارات، لا تتوفر فرص العمل.

وحين لا توجد فرص عمل، يزداد الفقر.

وبهذه الطريقة، فإن نار الحرب لا تنطفئ بانفجار القنبلة؛ بل تستمر سنوات طويلة في صورة البطالة والفقر والمشكلات الاجتماعية.

الفصل الثالث عشر:

الجراح النفسية للحرب

قد يلتئم جرح في جسد الإنسان أحياناً خلال بضعة أشهر، لكن جراح الحرب في ذهن الإنسان قد تبقى لسنوات. كان في أفغانستان جيل عاش صوت القنابل، وضجيج المروحيات، والمداهمات الليلية، ومشاهد الجنازات جزءاً من طفولته.

فالطفل الذي فقد والده في القصف الأعمى للصليبيين لا يستطيع، حتى بعد سنوات، أن ينسى تلك الليلة والأم التي فقدت ابنها في غارة جوية للاحتلال الأمريكي تذرف الدموع حتى آخر يوم من حياتها كلما تذكرت اسمه. والرجل الذي أمضى سنوات طويلة تحت التعذيب والإيذاء على أيدي الجلادين الأمريكيين في سجني باغرام وغوانتانامو سيئي السمعة والمظلمين، يعاني، حتى بعد خروجه من السجن، من اضطرابات نفسية شديدة بسبب تلك الجرائم الأمريكية ومخاوفها. هذه هي الجراح التاريخية والعميقة التي لا تظهر أبداً في تقارير الغزاة الأجانب ووسائل الإعلام الغربية الاستكبارية.

الفصل الرابع عشر:

عشرون عاماً من الحرب والاحتلال؛ نهايتها الهزيمة التاريخية للغزاة الأجانب

فرض الغزاة الأمريكيون وحلفاؤهم الصليبيون احتلالهم المشؤوم والظالم على الأراضي الأفغانية لما يقارب عشرين عاماً. وخلال هذه الفترة استخدموا لغتهم العسكرية المتغطرسة، وأنفقوا مليارات الدولارات في الأراضي الأفغانية على شكل دمار وقتل، وأحرقوا جغرافية أفغانستان بالنيران والبارود بلا رحمة.

لكن في النهاية، وبفضل التضحيات الكبيرة التي قدمها الأفغان، اضطرت القوات الأجنبية الغازية إلى الفرار في هزيمة مخزية، كما انهارت إدارة كابل الفاسدة والعاجزة والعميلة التي أقيمت بإشارة منهم، في عام 2021م، بصورة مذهلة وسريعة للغاية، وكأنها بيت من ورق.

وقد أثبت هذا التحول وهذه الهزيمة التاريخية:

أن الأنظمة الزائفة التي تُبنى من خلال العدوان الأجنبي والقوة والاستكبار لا يمكن أن يكون لها وجود دائم في أي مجتمع إسلامي. ومتى توقف الدعم الأجنبي والتدخل الخارجي وقصف المعتدين الوحشي، فإن مثل هذه الحكومات التي تبيع وطنها ستنهار خلال لحظات.

وخلال هذا الاحتلال الذي فُرض على الشعب الأفغاني طوال عشرين عاماً من قبل الغزاة الأمريكيين ووكلائهم المحليين، استشهد عشرات الآلاف من أبناء الشعب الأفغاني الشجعان، ونزح ملايين الأفغان، واستُهدفت القرى والمناطق المأهولة بالقنابل، لكن النتيجة كانت أن الشعب الأفغاني ألحق هزيمة تاريخية بالغطرسة المعتدية، ودفن جميع مشاريعها المشؤومة تحت التراب.

الفصل الخامس عشر:

الخسارة الحقيقية للشعب الأفغاني في كل حرب، يتحدث السياسيون، ويضع الجنرالات الخرائط والخطط، وتسعى القوى الكبرى إلى تحقيق مصالحها؛ لكن في النهاية يدفع الناس العاديون الثمن الحقيقي للحرب.

وفي حرب أفغانستان التي استمرت عشرين عاماً:

- فقدت أم ابنها؛
- وفقد طفل والده؛
- وأصبحت امرأة أرملة؛
- وأصبح طفل يتيماً؛
- ونزحت أسرة؛
- وترك مزارع أرضه؛
- ولم يتمكن مريض من الوصول إلى المستشفى؛
- وحُرم طالب من المدرسة؛
- وتحول منزل إلى أنقاض الحرب.

هذه هي الكلفة الإنسانية للحرب التي لا يمكن قياسها بالكامل بالدولارات أو التقارير العسكرية أو البيانات السياسية.

الخاتمة:

كان العدوان والاحتلال العسكري الأمريكي وحلف الناتو، الذي بدأ بعد أحداث سبتمبر/أيلول 2001م، من أكثر المراحل ظلاماً ودموية وقسوة في التاريخ المعاصر للبلاد.

فقد عرض الغزاة الغربيون في البداية شعارات ماكرة حول مكافحة الإرهاب، والأمن الزائف، وحقوق الإنسان وإعادة الإعمار، لكنهم ارتكبوا طوال مسار الاحتلال الذي استمر عشرين عاماً عدداً لا يحصى من الجرائم الجائرة، سفكوا فيها دماء عشرات الآلاف من الأفغان الأبرياء، وهجّروا آلاف الأسر من أراضيها، ودمروا قرانا العامرة، وحطموا ادعاءات الاستكبار العالمي تحت الأنقاض.

إن الكوارث الجوية المروعة في غرناي وشيندند، والقصف الإجرامي والوحشي لمستشفى قندوز، والمداهمات الليلية، وتعذيب المظلومين في مراكز الاحتجاز القاسية في باغرام وغوانتانامو، وهجرات ملايين الأفغان، هي من التاريخ المشين للاحتلال الأمريكي الذي لا يمكن محوه من الذاكرة.

الحركة الإسلامية لطالبان منذ تأسيسها حتى الرابع والعشرين من شهر أسد 1400هـ

غياث الدين الغوري

أفغانستان هي الأرض الوحيدة التي سجّلت صفحات تاريخها العريق ذلك اللقب المشرّف: «مقبرة الإمبراطوريات». وهي الأمة التي، رغم ما مرّت به عبر التاريخ من محن وسجون وتعذيب ومئات أشكال الظلم، لم ترضَ قط بالذل والعبودية. ومن أبرز خصائص الشعب الأفغاني كراهيته العميقة للعبودية والخضوع، ورفضه الدائم أن تُسلب منه حريته وعقيدته. وقد ظلّت أفغانستان على مرّ التاريخ ملجأ للرجال الشجعان، والنساء الصابرات، والمجاهدين.

ويرتبط تاريخ هذه الأرض بالجهاد، ومقاومة الاحتلال، والحروب الأهلية، والتحولات السياسية الكبرى. وفي خضم هذه التقلبات، يُعدّ ظهور حركة طالبان الإسلامية، والتطورات التي شهدتها البلاد حتى الرابع والعشرين من شهر أسد/أغسطس سنة 1400 هـ ش، من أهم فصول التاريخ المعاصر لأفغانستان؛ ذلك الفصل الذي بدأ في ظل انعدام الأمن والحروب الأهلية، وانتهى، بعد عقدين من الحرب والكفاح، إلى عودة إمارة أفغانستان الإسلامية إلى الحكم.

وبعد سنوات طويلة من جهاد الشعب الأفغاني وتضحياته، مُني الاحتلال السوفياتي في نهاية المطاف بالهزيمة. وكان الشعب الأفغاني يأمل أن تكون ثمرة ذلك الجهاد تحقيق الاستقلال والأمن والوحدة وإقامة نظام إسلامي. وكان إرساء النظام الإسلامي حلماً عظيماً لدى الأفغان، وهو الحلم الذي قدّموا من أجل تحقيقه آلاف التضحيات خلال سنوات الجهاد.

وباختصار، دخلت أفغانستان بعد سقوط الحكومة الشيوعية مرحلةً صعبة ومضطربة. فقد اشتدت الخلافات السياسية بين مختلف الجماعات والأحزاب، وتصاعد التنافس على السلطة، وانخرطت البلاد في حروبٍ أهليةٍ. وشهدت كابول والعديد من مناطق البلاد مواجهات دامية ودماراً واسعاً وانعداماً للاستقرار.

وفي مناطق كثيرة، عانى الناس من انعدام الأمن، والاستبداد، والسيطرة المحلية، وتجاوزات الجماعات المسلحة، والفساد، والظلم، والصراعات القومية والحزبية. كما تراجع حلم الوحدة والاستقرار الذي كان الشعب يأمل في تحقيقه بعد سنوات طويلة من الجهاد، وسط الصراعات السياسية والعسكرية.

وفي ظل هذه الظروف، وبفضل الله تعالى وفضله، ظهرت في جنوب أفغانستان، ومن بين المدارس الدينية وصفوف المجاهدين، حركة إسلامية بهدف إنقاذ الشعب الأفغاني المظلوم. وقد أعلنت هذه الحركة التزامها بإنهاء الحروب الأهلية، وترسيخ الأمن، ومكافحة الفساد، وإقامة نظام إسلامي. وفي الحقيقة، عُدّ ظهور مثل هذه الحركة حاجةً ملحّة لإنهاء مظالم وفساد الجماعات التي كانت تنشر الشر والفساد. وسرعان ما توسعت هذه الحركة، وسيطرت على المناطق واحدة تلو الأخرى، حتى وصلت في نهاية المطاف إلى كابول، التي أصبحت تحت سيطرة مجاهدي الإمارة الإسلامية.

ومع قيام إمارة أفغانستان الإسلامية، أصبحت معظم مناطق البلاد تحت مظلة إدارة وقيادة موحّدة. وكان من أبرز إنجازات تلك المرحلة إنهاء الحروب الأهلية وحالة انعدام الأمن الواسعة. كما أصبحت طرق المواصلات أكثر أمناً، وتراجعت سلطة القادة المحليين الذين كانوا يمارسون الظلم والاعتداء على شعوبهم، وترسخ النظام والأمن في مناطق واسعة من البلاد.

وسعت الإمارة الإسلامية إلى وضع حد للتعصبات القومية والحزبية، وجمع الشعب الأفغاني تحت مظلة نظام واحد. والشعب الأفغاني مدين بهذا الفضل، ولن ينساه أبداً. وكانت مكافحة الفساد، وتوفير الأمن، وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية من الأهداف الأساسية لذلك النظام.

ومع ذلك، واجهت الإمارة الإسلامية أيضاً معارضة داخلية وضغوطاً خارجية، وظلت أفغانستان في مركز التحولات الإقليمية والدولية.

وقد أصبحت أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول 2001 ذريعةً للقوى الغربية لإسقاط النظام الإسلامي والقضاء على حرية الشعب الأفغاني، وفتحت فصلاً جديداً في تاريخ أفغانستان. وبعد تلك الأحداث، بدأت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها عملياتهم العسكرية في أفغانستان.

وفي فترة قصيرة، سقطت حكومة الإمارة الإسلامية، وتراجع مجاهدو الإمارة الإسلامية، وفق توجيهات وإرشادات الملا محمد عمر المجاهد رحمه الله، عن المشهد لفترة من الزمن، وابتعدوا عن مراكز السلطة. ورأى كثير من الناس آنذاك أن ذلك ربما كان نهاية حركة طالبان؛ غير أن الأمر لم يكن نهاية، بل كان بداية مرحلة جديدة من الكفاح.

ومع وصول القوات الأجنبية المحتلة وقيام نظام ديمقراطي فاسد ومتهالك، دخلت أفغانستان مرحلة جديدة. فقد حافظ الغزاة الأجانب على وجود عسكري واسع، بينما واصلت الحكومة التي أقاموها نشاطها بدعمهم السياسي والمالي والعسكري.

وبدأ مجاهدو الإمارة الإسلامية مقاومتهم ضد قوات الاحتلال ومرتزقتها دفاعاً عن أرضهم ومقدساتهم الإسلامية، ونتيجة لذلك، خاضت أفغانستان على مدى عشرين عاماً واحدةً من أطول الحروب في تاريخها المعاصر. وقد ألحقت العمليات العسكرية والغارات الجوية والقصف، وما رافق ذلك من مظالم وانتهاكات ارتكبتها القوات الأجنبية وحلفاؤها، إضافة إلى الاعتقالات والمواجهات المسلحة، خسائر بشرية ومادية جسيمة بالشعب الأفغاني.

وخلال هذه الفترة، أعاد مجاهدو الإمارة الإسلامية تدريجياً تنظيم صفوفهم وتعزيز قوتهم، ووسعوا نشاطهم العسكري ليشمل مناطق مختلفة من البلاد. وقد خلفت سنوات الحرب الطويلة آلاف القتلى والجرحى، وأجلست العديد من الأسر على مجالس العزاء لفقدان أحبائها. وخلال هذه السنوات، واصل المجاهدون مقاومتهم للاحتلال الأجنبي والقوات المحلية التابعة له، وهي القوات التي جعلت من الخضوع والعبودية نهجاً لها. على الرغم من التفوق الشامل للقوات الأجنبية من الناحيتين العسكرية والتقنية، استمر الجهاد والكفاح، وأصبحت قضية انسحاب القوات الأجنبية من أهم القضايا السياسية في أفغانستان.

وبعد سنوات طويلة من الحرب، بدأت في نهاية المطاف عملية التفاوض من أجل إنهاء وجود قوات الاحتلال الأجنبية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية. وقد مهّدت اتفاقية الدوحة الطريق لانسحاب القوات الأجنبية، وبمجرد انسحابها، شهدت المعادلات السياسية والعسكرية في أفغانستان تغيراً سريعاً.

وفي عام 1400 هـ ش، تسارعت تقدمات مجاهدي الإمارة الإسلامية، وسقطت الولايات واحدة تلو الأخرى، وانهار هيكل الحكومة الجمهورية والديمقراطية بسرعة غير مسبوقة.

وفي نهاية المطاف، سقطت كابول في الرابع والعشرين من شهر أسد/أغسطس 1400 هـ ش في أيدي أبناء هذه الأرض ومجاهديها، كما انهارت الحكومة العميلة المدعومة من اليهود والنصارى.

إن قصة أفغانستان منذ الانتصار على الاتحاد السوفيتي وحتى الرابع والعشرين من شهر أسد 1400 هـ ش، هي قصة أجيال متعددة عاشت وسط الحروب والاحتلالات والخلافات الداخلية والتحولات السياسية. وخلال كل هذه السنوات، كان استقلال البلاد وسيادتها السياسية، إلى جانب المطالبة بإقامة نظام إسلامي، من أبرز المطالب والقضايا التي شغلت جانباً كبيراً من المجتمع الأفغاني.

وقد كان ظهور مجاهدي الإمارة الإسلامية وقيامهم حركةً نشأت من رحم الحروب الأهلية وانعدام الأمن؛ وتمكنت لفترة من الزمن من بسط سيطرتها على

معظـم أنحـاء أفغانسـتان، ثـم أُقصيـت عـن الحكـم عقـب الغـزو الأمريكـي، وخاضـت علـى مـدى عشـرين عامـاً مقاومـة ضـد القـوات الأجنبيـة والحكومـة المدعومـة منهـا، وفـي نهايـة المطـاف عـادت مـرة أخـرى إلـى كابـول فـي الرابـع والعشرين من شهر أسد 1400 هـ ش.

الحمـد للّه، يمتلـك الشـعب الأفغانـي اليـوم نظامـاً إسلاميـاً حـراً ومسـتقلاً؛ وهـو المطلب الذي كان ولا يزال من الآمال الراسخة للشعب الأفغاني.

ولكـن علـى أولئـك الأعـداء الذيـن لا يزالـون يفكـرون فـي القضـاء علـى الإسلام والنظـام الإسلامـي أن يعتبـروا بمـن سـبقهم مـن المعتديـن والمحتليـن الذيـن انكشـف أمرهـم وذاقـوا الـذل والهزيمـة بعـد دخولهـم هـذه الأرض المقدسـة؛ لأن هـذا الشعب الحر والمستقل لن يقبل أبداً أن يقع تحت هيمنة الكفار أو مشاريعهم.

الجدول الزمني للفتوحات

المنطقة الغربية

الولاية	التاريخ الهجري القمري
نيمروز	28 ذو الحجة 1442هـ
فراه	2 محـــــرم 1443هـ
هرات	4 محـــــرم 1443هـ
بادغيس	4 محـــــرم 1443هـ
غور	5 محـــــرم 1443هـ

المنطقة الجنوبية الغربية

الولاية	التاريخ الهجري القمري
هلمند	5 محـــــرم 1443هـ
قندهار	5 محـــــرم 1443هـ
أروزجان	5 محـــــرم 1443هـ
زابل	5 محـــــرم 1443هـ
دايكند	7 محـــــرم 1443هـ

المنطقة الجنوبية الشرقية

الولاية	التاريخ الهجري القمري
غزني	4 محـــــرم 1443هـ
بكتيا	6 محـــــرم 1443هـ
بكتيكا	6 محـــــرم 1443هـ
خوست	7 محـــــرم 1443هـ
لوغر	5 محـــــرم 1443هـ

المنطقة الشرقية

الولاية	التاريخ الهجري القمري
ننجرهار	7 محـــــرم 1443هـ
كنر	6 محـــــرم 1443هـ
لغمان	6 محـــــرم 1443هـ
نورستان	7 محـــــرم 1443هـ

المنطقة الشمالية الشرقية

الولاية	التاريخ الهجري القمري
بدخشان	3 محـــــرم 1443هـ
تخار	30 ذو الحجة 1442هـ
قندوز	29 ذو الحجة 1442هـ
بغلان	2 محـــــرم 1443هـ

المنطقة الشمالية

الولاية	التاريخ الهجري القمري
سرپل	29 ذو الحجة 1442هـ
جوزجان	29 ذو الحجة 1442هـ
سمنغان	1 محـــــرم 1443هـ
فارياب	6 محـــــرم 1443هـ
بلخ	6 محـــــرم 1443هـ

المنطقة المركزية

الولاية	التاريخ الهجري القمري	الولاية	التاريخ الهجري القمري	الولاية	التاريخ الهجري القمري
ميدان وردك	7 محرم ١٤٤٣هـ	كابول	7 محرم ١٤٤٣هـ	بروان	7 محرم ١٤٤٣هـ
باميان	7 محرم ١٤٤٣هـ	كابيسا	7 محرم ١٤٤٣هـ	بنجشير	29محرم ١٤٤٣هـ

سقوط الجمهورية وعودة حكم الإمارة الإسلامية

وليد وياز

إن يـوم 24 مـن شـهر أسـد ليـس يومًـا عاديًـا فـي التاريـخ المعاصـر لأفغانسـتان، ولا يرتبط بأفغانستان وحدها، بل يرتبط أيضًا بمصير العالم بأسره، ولا سيما حلف الناتو والولايات المتحدة. فمنذ ما يقارب خمسة وعشرين عامًا، شكّلت الولايات المتحدة وتحالفاتها العسكرية ائتلافًا لغزو أفغانستان واحتلالها، في حين أن بلدنا لم يكن يشكّل تهديدًا لأي دولة، ولم تكن له صلة بأحداث الحادي عشر من سبتمبر. لكن الحقيقة الأساسية كانت أن الإمارة الإسلامية، التي أنهت إلى حد كبير أتون الحروب الأهلية في أفغانستان، لم تكن مقبولة لدى الغرب والتحالف الأمريكي. فهذا النظام الإسلامي الخالص، القائم على قيمه ومبادئه، لم يكن له آنذاك نظير يُحتذى به على مستوى دول المنطقة والعالم الإسلامي.

ومن جهة أخرى، كانت أجهزة استخبارات ذات أجندات وأهداف خاصة، وعناصر معادية للإسلام، تدرك أن التزام الإمارة الإسلامية بالقيم الإسلامية سيجعل هذا النظام قوة مؤثرة في أفغانستان والمنطقة، وأن الحيلولة دون ذلك ستصبح أكثر صعوبة مع مرور الوقت. وقد أعلن الرئيس الأمريكي آنذاك، جورج بوش، الذي يُنظر إليه في سياق تلك المرحلة بوصفه أحد أبرز منظّري الحروب التي أطلقت تحت شعار مكافحة الإرهاب، أن: «إما أن تكونوا معنا أو أن تكونوا ضدنا، ولا يوجد طريق ثالث».

وفي نهاية المطاف بدأ هذا الغزو، وأُعيد تأسيس نظام الجمهورية في أفغانستان تحت شعارات الديمقراطية، من خلال الدفع بعدد من الأفغان المقيمين في الغرب وأشخاص كانوا منخرطين في الحروب الأهلية السابقة إلى الواجهة السياسية. وكانت هذه الجمهورية نسخة شبه مطابقة للجمهوريات الغربية، وقد قامت ركائزها على الدستور والقوانين الوضعية ومفاهيم غربية أخرى، حتى إن بعض تلك المبادئ لم تكن تُطبّق بصورة كاملة في الدول الغربية والولايات المتحدة نفسها.

والحقيقة أن الإمارة الإسلامية، عقب هذا الاحتلال، لم تنسحب من المدن إلا لفترة قصيرة، ثم أعادت تنظيم صفوفها، وواصلت مقاومتها بإمكاناتها المحدودة، متحديةً الفكر الموالي للغرب الذي قامت عليه الجمهورية، وأعادت

من جديد إشعال جذوة الجهاد والمقاومة في قلوب جيل جديد من الأفغان.
لقد كانت السنوات الطويلة التي تلت الاحتلال مرحلة حافلة بالفظائع والظلم الذي ارتكبته القوات الغربية في أفغانستان. وكان الحكام الموالون للغرب والولايات المتحدة قد اتخذوا، بإرادتهم، موقفًا متناقضًا مع الشعب والقيم الإسلامية. ومع ذلك، بقي أمل قائمًا؛ وكان هذا الأمل يتمثل في المقاومة المسلحة والفكرية للإمارة الإسلامية، التي كانت تبشّر المجاهدين وعموم الشعب بانتصار قادم.
وقد تحقق ذلك الوعد في عام 2021م؛ ففي خضم الصراع المادي والمعنوي، ظل اللواء الأبيض المحمدي مرفوعًا، وفي نهاية المطاف رُفع بأيدي المجاهدين فوق البرج الشاهق لقصر الرئاسة (الأرغ).
نعم، كان ذلك يوم 24 أسد؛ ذلك اليوم التاريخي الذي امتلأت فيه مدينة كابل بشعارات النصر والفتح الإسلامي. وخرج المواطنون المحبون للحرية إلى الأزقة والشوارع فرحين كما في يوم العيد، بينما كان أولئك الذين ربطوا مصيرهم بمصير سادتهم الغربيين والأمريكيين يتجهون نحو المطار، ويركضون خلف الطائرات، وقد نسوا ربهم وبلدهم و«شعبهم» خوفًا من افتضاح أعمالهم السابقة وسوء أفعالهم.

إن الجمهورية التي أُنفقت عليها، طوال عقدين، مليارات الدولارات من الاستثمارات الغربية والأمريكية، وأجريت من أجلها حملات دعائية واسعة، والتي فُرض دستورها ومبادئها الوضعية على الشعب وقدّمت إليه باعتبارها أساسًا لنظام الدولة، انهارت سريعًا كالنقش على الماء. وسرعان ما بدأ حتى بعض أفراد ذلك النظام المفروض في انتقاده، وخرج بعضهم للاعتذار إلى الشعب.
ولا شك أن مقاومة الإمارة الإسلامية كان لها الدور الأساسي في سقوط الجمهورية، إلا أن ركائز هذه المقاومة قامت على الدعم الشعبي للإمارة الإسلامية والالتزام بالشريعة الإسلامية؛ وهي أمور كانت تمثل مطلبًا تاريخيًا راسخًا للشعب الأفغاني المسلم، وقد تحقق هذا المطلب في نهاية المطاف.
وإذا كان 24 أسد من جهة يومًا للنصر التاريخي، ومحطة مضيئة في مسيرة آلاف الشهداء الذين ضحوا في سبيل قضيتهم، فإنه من جهة أخرى كان أيضًا يومًا للأمن بالنسبة إلى كبار المجرمين وسفاكي الدماء والخائنين الذين احتموا تحت مظلة الجمهورية؛ وذلك لأن زعيم الإمارة الإسلامية وفاتح أفغانستان، حضرة أمير المؤمنين، حفظه الله تعالى، أصدر عفوًا عامًا شاملًا وتاريخيًا وغير مسبوق، عفوًا لم يكن للعالم نظير واضح له، ولم يكن أحد يتوقع صدوره.

موقـد فتـح هـذا العفـو، بعـد 24 أسـد، بابًـا للمصالحـة الوطنيـة بيـن الأفغـان، وللحفـاظ علـى وحدتهـم، وتعزيـز شـعورهم بالانتمـاء إلـى أمـة واحـدة. كمـا أن مجاهـدي الإمـارة الإسلاميـة، احترامًـا كامـلًا لأمـر زعيمهـم، فتحـوا ذراعـي الأخـوة أمام كثير من الأشخاص الذين لم يعرفوا طوال عقدين سوى الظلم والعنف.

إنجازات الإمارة الإسلامية خلال السنوات الخمس الماضية

إحسان

المقدمة:

يُعدّ الرابع والعشرون من شهر الأسد لعام ١٤٠٠ هجري شمسي يومًا مهمًا ومفصليًا في التاريخ المعاصر لأفغانستان. ففي هذا اليوم المجيد، استعاد الشعب الأفغاني الأبيّ والشامخ حريته واستقلاله بعد عقدين من الجهاد والمقاومة في مواجهة الغزو الأجنبي، وبدأ في البلاد فصل جديد من الحكم الإسلامي والشعبي. فإذا كانت العقود الماضية من الجهاد قد مثّلت مرحلةً من النضال والتضحيات، فإن السنوات الخمس التي أعقبت الفتح مثّلت مرحلةً لترسيخ النظام الإسلامي، وبناء الدولة، وخدمة الشعب.

وتنبع أهمية هذه السنوات الخمس من أن أفغانستان، بعد نصف قرن من الحروب والتدخلات الأجنبية، وجدت للمرة الأولى فرصةً لتقرير مصيرها بنفسها، بعيدًا عن الوجود المباشر للقوات الأجنبية. ومن هذا المنطلق، يمكن اعتبار هذه المرحلة انتقالًا من حكم مفروض ومرتهن إلى حكم يقوم على إرادة الشعب والشريعة. كما أن تقييم حصيلة هذه المرحلة لا يقتصر على مراجعة إنجازات حكومة فحسب، بل يمثل أيضًا روايةً لصمود شعب وجهوده في سبيل بناء مستقبل مستقل وإسلامي.

وقد تمكنت إمارة أفغانستان الإسلامية، خلال هذه المدة القصيرة، وعلى الرغم من مواجهتها عقوبات جائرة وعوائق خارجية، من الانتقال من مرحلة الحرب إلى مرحلة بناء النظام، وتحقيق إنجازات بارزة وملموسة في مختلف المجالات. وتتمثل المسألة الأساسية التي تسعى هذه المقالة إلى الإجابة عنها في: ما المسار الذي اتبعته إمارة أفغانستان الإسلامية خلال السنوات الخمس الماضية، وما الإنجازات التي حققتها؟ وقد أجريت هذه الدراسة من منظور علمي، استنادًا إلى الوقائع الميدانية والتقارير الموثوقة.

قال الله تعالى:

﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾

[الحج: ٤١]

وتعبّر هذه الآية المباركة من القرآن العظيم بصورة جلية عن الاتجاه الذي

سارت عليه إمارة أفغانستان الإسلامية خلال السنوات الخمس الماضية.

أولا: ترسيخ الأمن وتعزيز السيادة الوطنية:

يمثل الأمن أساس كل تقدم وازدهار، ولا شك أن أبرز وأوضح إنجاز حققه نظام إمارة أفغانستان الإسلامية خلال السنوات الخمس الماضية يتمثل في تحقيق الأمن في مختلف أنحاء البلاد. فالشعب الذي عانى طوال أربعة عقود مرارة الحرب وانعدام الأمن والانفجارات والاختطاف والفوضى المسلحة، يعيش اليوم، بفضل حكم النظام الإسلامي، طعم الأمن الحقيقي ويشعر بثماره.

وخلال السنوات الخمس الماضية، عملت إمارة أفغانستان الإسلامية على ترسيخ السيادة الوطنية في مختلف أنحاء البلاد، من خلال جمع آلاف الأسلحة الخفيفة والثقيلة من الأفراد غير المسؤولين، ونزع سلاح الجماعات غير المسؤولة، والحد من مظاهر الاستقواء والخروج على القانون، إلى جانب اتخاذ العديد من الإجراءات الأخرى. واليوم، من بدخشان إلى نيمروز، ومن هرات إلى ننغرهار، يرفرف علم واحد، ويحكم نظام واحد، وحكم مقتدر؛ ولا توجد أي منطقة من البلاد خارج مظلة النظام الإسلامي. وهذا التماسك الجغرافي كان من الآمال التي طالما تطلع إليها الشعب، ونحن اليوم نشهد تحققها.

علاوة على ذلك، فإن بناء قوات مسلحة منظمة وملتزمة تابعة لإمارة أفغانستان الإسلامية، يتجاوز عدد أفرادها ١٥٠ ألف مجاهد، إلى جانب الشرطة الوطنية وجهاز استخباراتي قوي وملتزم، قد أسهم في أن تمتلك أفغانستان قوات أمنية منظمة، نابعة من أبناء الشعب، وملتزمة بأمن البلاد.

وتشكل المواجهة الحاسمة والمستمرة والناجحة التي خاضتها إمارة أفغانستان الإسلامية ضد الظاهرة السيئة المتمثلة في داعش - خوارج العصر - نموذجًا واضحًا آخر على قدرة النظام في مجال تأمين الأمن. ففي الوقت الذي عجزت فيه دول عديدة، رغم ما تمتلكه من إمكانات واسعة، عن احتواء هذه الجماعة، تمكنت إمارة أفغانستان الإسلامية، بفضل الجهود المتواصلة لقواتها الأمنية ليلًا ونهارًا، والدعم القوي من الشعب، من كسر شوكة هذه الجماعة الفتنة، وأثبتت أن أرض أفغانستان لن تكون مرة أخرى مأوى لانعدام الأمن.

كما أكدت تقارير الأمم المتحدة الانخفاض غير المسبوق في أعداد الضحايا المدنيين، والتحسن الملحوظ في الوضع الأمني في أفغانستان. واليوم يستطيع كل مواطن أن يلمس ثمار هذا الأمن الشامل بوضوح في حياته اليومية؛ فالتاجر الذي ينقل بضاعته من ولاية إلى أخرى دون خوف من الاختطاف، والأسرة التي تسافر ليلًا دون قلق، والمزارع الذي لا يخشى تعرض محصوله للنهب، جميعهم شهود على هذا التحول الجوهري.

كما أن تأمين حدود البلاد ومنع التهريب وتسلل الجماعات الأجنبية أسهما في أن تطرح أفغانستان، بعد سنوات طويلة، نفسها بوصفها بلدًا آمنًا للاستثمار والترانزيت الإقليمي؛ وهي مكانة لم تتمكن من تحقيقها طوال عشرين عامًا من عمر الجمهورية، رغم وجود آلاف القوات الأجنبية في البلاد.

ثانيًا: سياسة خارجية متوازنة قائمة على الاقتصاد والمصالح الوطنية

في مجال السياسة الخارجية، انتهجت الإمارة الإسلامية سياسة حكيمة تقوم على «التوازن والحياد والتفاعل الإيجابي». وتستند هذه السياسة إلى مبدأين أساسيين: أولهما، الحفاظ على الاستقلال السياسي الكامل وعدم الارتهان لأي قوة خارجية؛ وثانيهما، إقامة تفاعل بنّاء مع العالم، قائم على الاحترام المتبادل والمصالح الوطنية، ومبني على أسس اقتصادية.

وخلافًا للماضي، حين تحولت أفغانستان إلى ساحة للتنافس بين القوى الخارجية، أقامت الإمارة الإسلامية اليوم علاقات إيجابية وبنّاءة مع جميع دول الجوار ودول المنطقة. ويشكل توسيع العلاقات السياسية والاقتصادية والتجارية مع الصين وروسيا وإيران وتركيا ودول آسيا الوسطى والعالم العربي مؤشرًا على نجاح هذه السياسة.

كما أن الحضور الفاعل والمحترم لوفود الإمارة الإسلامية في المحافل الإقليمية والدولية المهمة، واستضافة كابل لعشرات الوفود الأجنبية رفيعة المستوى، يؤكد أن أفغانستان قد خرجت من عزلتها المفروضة عليها، وبرزت بوصفها لاعبًا مهمًا ومسؤولًا في المعادلات الإقليمية.

أكدت الإمارة الإسلامية مرارًا أنها ترغب في إقامة علاقات جيدة مع العالم بأسره، ولا سيما مع العالم الإسلامي، وأنها لن تسمح باستخدام الأراضي الأفغانية ضد أي دولة. وقد أسفرت هذه السياسة المتوازنة عن نتائج ملموسة على أرض الواقع أيضًا. فإعادة تفعيل سفارات وقنصليات أفغانستان في عدد من الدول، وتوقيع اتفاقيات تجارية وترانزيت كبرى، واستئناف المباحثات بشأن مشاريع إقليمية كبرى، مثل مشروع خط أنابيب الغاز «تابي»، ومشروع «تاب»، وخط سكة حديد خواف ـ هرات، كلها مؤشرات على أن العالم أخذ يتقبل تدريجيًا الواقع الراهن في أفغانستان.

وقد أثبتت الإمارة الإسلامية قدرتها على التفاعل مع العالم من دون ارتهان سياسي، مع الحفاظ على الكرامة الوطنية؛ تفاعل لا يقوم على أوامر الأجانب، بل يستند إلى المصالح العليا لأفغانستان والأمة الإسلامية. وقد أعاد هذا النهج القائم على العزة والكرامة ثقة دول المنطقة بأفغانستان.

ثالثًا: إعادة الإعمار الاقتصادي والتحرك نحو الاكتفاء الذاتي

لعل أبرز فصول فترة حكم الإمارة الإسلامية على مدى السنوات الخمس هو الإنجاز الاقتصادي، ولا سيما في ظل الظروف التي واجه فيها النظام عقوبات غير عادلة، وتجميدًا للأصول الوطنية من جانب الولايات المتحدة. وكانت أولى الخطوات الكبرى مكافحة الفساد الإداري بصورة جادة وعملية. ذلك الفساد الذي كانت جذوره قد امتدت خلال عهد النظام الجمهوري، وأصاب شرايين اقتصاد البلاد بالشلل، قد جرى الحد منه اليوم بصورة غير مسبوقة، مما أتاح المجال أمام بناء إدارة سليمة وشفافة.

وقد تمثلت ثمرة هذه الإدارة السليمة في الزيادة الملحوظة في الإيرادات الوطنية. ووفقًا لأرقام وزارة المالية، تجاوزت الإيرادات المحلية للبلاد مئات المليارات من الأفغانيات، وأصبحت نفقات الموازنة الوطنية تمول من المصادر المحلية؛ وهو إنجاز لافت في التاريخ المعاصر، ويؤكد أن شعبنا قادر على الوقوف على قدميه وإدارة اقتصاده دون الاعتماد على المساعدات الخارجية.

علاوة على ذلك، أعادت الإمارة الإسلامية إحياء المشاريع الوطنية الكبرى والأساسية التي ظلت منسية لسنوات طويلة. فقناة قوش تيبه الكبرى، التي تعد من أكبر مشاريع الري في البلاد، والطرق الرئيسية الكبرى، وقنوات السدود المائية، واستخراج الثروات المعدنية الكبرى، ودعم الإنتاج المحلي والزراعة والصناعة، كلها مؤشرات واضحة على التحرك الثابت للنظام نحو الاكتفاء الاقتصادي الذاتي.

وخلال العامين الماضيين، حظي استقرار قيمة العملة الأفغانية أمام العملات الأجنبية، في وقت واجهت فيه اقتصادات العديد من دول الجوار تقلبات حادة، بإشادة المؤسسات الدولية، بما فيها البنك الدولي، باعتباره إنجازًا اقتصاديًا مهمًا. وما يزيد من أهمية هذا النجاح هو الإصلاحات الأساسية التي شهدها النظام الجمركي، والتحصيل الشفاف للضرائب. ففي الماضي، كانت إيرادات الجمارك تتعرض للهدر والاختلاس؛ أما اليوم، فتنتقل الإيرادات إلى الخزينة الوطنية بصورة سليمة، من خلال الإدارة الرشيدة ومكافحة التهريب.

وكذلك، فإن دعم القطاع الخاص، وتوفير التسهيلات للمستثمرين المحليين والأجانب، وإقامة معارض للمنتجات المحلية، وزيادة صادرات السجاد والفواكه المجففة والأحجار الكريمة، كلها تؤكد أن الاقتصاد الأفغاني يمضي من حالة استهلاكية ومرتهنة إلى اقتصاد منتج وقائم على الاكتفاء الذاتي.

رابعًا: تطبيق الشريعة الإسلامية وتعزيز الخدمات الثقافية والاجتماعية

كان الهدف الأساسي لجهاد الشعب الأفغاني هو إعلاء حكم الشريعة الإسلامية،

وقـد أولـت الإمـارة الإسلاميـة خلال السـنوات الخمـس الماضيـة أولويـة لتطبيـق الشـريعة في المحاكـم والتعليـم ومختلـف مجالات الحياة الاجتماعية. وقد أعادت المحاكـم الشـرعية، مـن خلال الفصـل العـادل والسـريع فـي قضايـا النـاس، إحيـاء الثقـة التـي فقدهـا الشـعب فـي العدالـة، وأصبـح النـاس اليـوم يـرون أن حـق المظلـوم يمكـن أن يُسترد من دون واسطة أو رشوة.

وفـي مجـال التربيـة والتعليـم العالـي، يُعـد إصلاح المناهـج التعليميـة علـى أسـاس القيـم الإسلاميـة والوطنيـة، وإعـادة إعمـار مئـات المـدارس الدينيـة، وتوفيـر فـرص التعليـم والتحصيـل لآلاف الشـباب، مـن أبـرز الإجـراءات الأساسـية. وفـي المجـال الصحـي، تتواصـل بصـورة مسـتمرة أعمـال إعـادة إعمـار المستشـفيات والمراكـز الصحيـة، وتقديـم العـلاج للمرضـى فـي مختلـف أنحـاء الـبلاد، كمـا تتواصـل الجهود لإيصال الخدمات الصحية إلى أبعد المناطق النائية في البلاد.

ومـن أبـرز الإنجـازات الإنسـانية والإسلاميـة التـي حظيـت بإشـادة واسـعة ولفتـت اهتمـام العالـم أجمـع، المكافحـة الحازمـة للمخـدرات. فقـد قدمـت الإمـارة الإسلاميـة خدمـة جليلـة للشـعب وللإنسـانية، مـن خلال منـع زراعـة المخـدرات وإنتاجهـا وتهريبهـا، وجمـع عشـرات الآلاف مـن المدمنيـن مـن الشـوارع والطرقـات، وإخضاعهـم للـعلاج فـي المراكـز الصحيـة؛ وهـو مـا عجـز النظـام السـابق عـن تحقيقـه رغـم حصولـه على مليارات الدولارات من المساعدات الخارجية.

وفضـلًا عـن ذلـك، فـإن إعلان العفـو العـام مـن قبـل أميـر المؤمنيـن حفظـه اللّه تعالـى فـي الأيـام الأولـى للفتـح، أسـهم فـي تعزيـز الوحـدة الوطنيـة والأخـوة بيـن مختلـف القوميات العريقة في أفغانستان، وأظهر أن الإمارة بيت مشترك لجميع الأفغان.

وإلـى جانـب ذلـك، فـإن الإصلاح المعنـوي للمجتمـع، ونشـر الثقافـة الإسلاميـة، ومنـع المنكـرات والعـادات غيـر المرغوبـة، وإحيـاء مكانـة العلمـاء فـي القيـادة الفكريـة للمجتمـع، مـن خلال وزارة الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر، قـد دفعت أجواء البلاد نحو مزيد من الروحانية والأخلاق الإسلامية.

كمـا أن إعـادة إعمـار المسـاجد، وطباعـة وتوزيـع الكتـب الإسلاميـة والثقافيـة، ودعـم المـدارس الدينيـة، واسـتقطاب الآلاف مـن طلبـة العلـم، تؤكـد أن النظـام الإسلامـي يولـي، مـن جهـة، اهتمامًـا متوازنًـا بالحيـاة الجسـدية والماديـة للشـعب مـن خلال توفيـر الأمـن والاقتصـاد، ومـن جهـة أخـرى بحياتهـم الروحيـة والمعنويـة مـن خلال الدين والثقافة؛ وهذا التوازن هو سر بقاء كل نظام شعبي.

خامسًا: التحديات القائمة والفرص الواعدة أمام أفغانستان

علـى الرغـم مـن اسـتمرار وجـود بعـض أوجـه القصـور والمشـكلات خلال مسـيرة الإمـارة الإسلاميـة علـى مـدى السـنوات الخمـس الماضيـة، فـإن هـذه المشـكلات لا

تعـود إلـى ضعـف إرادة النظـام الإسلامـي أو عـدم كفاءتـه، بـل ترتبـط بصـورة مباشـرة بالعقوبـات الجائـرة، وغيـاب تعـاون المجتمـع الدولـي، وعـدم الاعتـراف بنظام شرعي وشعبي.

لقـد أنجـزت الإمـارة الإسلاميـة أعمـالًا كبيـرة رغـم محدوديـة الإمكانـات المحليـة؛ غيـر أن العقوبـات الاقتصاديـة، واسـتمرار تجميـد مليـارات الـدولارات مـن العـملات الأجنبيـة العائـدة للشـعب الأفغانـي فـي البنـوك الأمريكيـة، وعـدم القـدرة علـى الوصـول إلـى المسـاعدات التنمويـة الدوليـة، قـد أدت فـي بعـض المجـالات إلـى إبطـاء مسيرة إعادة الإعمار والنمو الاقتصادي.

وبـدلًا مـن أن تتعـاون الأمـم المتحـدة والـدول الكبـرى فـي العالـم بصـدق مـع الشـعب الأفغانـي، اتبعـت نهجًـا أدى، مـن خلال تسـييس المسـاعدات الإنسـانية وفـرض ضغـوط غيـر ضروريـة علـى الشـعب، إلـى خلـق عوائـق أمـام مزيـد مـن تقـدم أفغانسـتان. ويُعـد هـذا النهـج المـزدوج مـن أبـرز العقبـات التـي تقـف أمـام تقـدم أفغانستان.

تمتلـك أفغانسـتان، بفضـل مـا تنعـم بـه مـن أمـن شـامل، وقـوة بشـرية شـابة وفتيـة، ومـوارد طبيعيـة واسـعة، وثـروة مائيـة غنيـة، وموقـع جغرافـي متميـز بوصفهـا ملتقـى طـرق آسـيا، جميـع المقومـات التـي تؤهلهـا للتحـول إلـى دولـة مزدهـرة، مكتفيـة ذاتيًـا ونموذجًـا يُحتذى به.

ومـا يفتقـده البلـد اليـوم ليـس سـوى غيـاب التعـاون الدولـي، وليـس عجـز النظـام فالثـروات الهائلـة مـن المعـادن، كالليثيـوم والنحـاس والحديـد، التـي تقـدر قيمتهـا بـآلاف المليـارات مـن الـدولارات، والميـاه غيـر المسـتغلة التـي يمكـن، مـع اسـتكمال بنـاء السـدود، أن تحـول أفغانسـتان إلـى دولـة مصـدرة للكهربـاء، إلـى جانـب سـكان البـلاد الشـباب والمتدينيـن، تمثـل جميعهـا ثـروات كبـرى لا يمكـن لأي عقوبات أن تكبحها إلى الأبد.

وقـد أثبتـت تجـارب السـنوات الخمـس الماضيـة أنـه كلمـا فُتحـت أبـواب التعـاون، أثبتـت الإمـارة الإسلاميـة قدرتهـا علـى اسـتقطاب الاسـتثمارات، وخلـق فـرص العمـل للشـباب، وتحويـل أفغانسـتان فـي وقـت قصيـر إلـى مركـز لربـط المنطقـة. ومـن ثـم، فإن التحدي الأساسي هو العقوبات، والفرصة الأساسية هي شعب ونظام موحدان.

سادسًا: الخاتمة من تثبيت النظام إلى بناء المستقبل

تُظهـر حصيلـة السـنوات الخمـس مـن حكـم الإمـارة الإسلاميـة بوضـوح أن هـذا النظـام قـد اجتـاز بنجـاح مرحلـة صعبـة مـن مراحـل تثبيـت أركانـه. لقـد كانـت السـنوات الخمـس الماضيـة سـنوات إثبـات؛ إذ أثبتـت أن الأفغـان قـادرون، بالاعتمـاد علـى الديـن والوحـدة الوطنيـة، علـى تحقيـق الأمـن، والقضـاء علـى الفسـاد، وإدارة بلادهـم بعيـدًا

عن التبعية للأجانب.
أما اليوم، فمسار المستقبل واضح: الانتقال من مرحلة تثبيت النظام إلى مرحلة التنمية المستدامة والرفاه.
وبالتوكل على الله تعالى، وبوحدة الشعب، وبحكمة قيادة الإمارة الإسلامية، ومع رفع العقوبات الجائرة وبدء التعاون الحقيقي من جانب العالم، تستطيع أفغانستان أن تخطو بخطى سريعة نحو الإعمار والاكتفاء الذاتي والتنمية الشاملة، وسيكون مستقبل أفغانستان أكثر إشراقًا من حاضرها.
وعلى أمل أفغانستان مزدهرة، حرة وقوية، في ظل النظام الإسلامي.

سابعًا المصادر والمراجع

١. بيانات وتصريحات وقرارات أمير المؤمنين حفظه الله تعالى.
٢. التقارير السنوية لوزارة المالية وبنك أفغانستان.
٣. تقارير الأمم المتحدة لتقديم المساعدة إلى أفغانستان «يوناما».
٤. تقارير البنك الدولي حول اقتصاد أفغانستان.
٥. تقارير وزارة التربية والتعليم، ووزارة الصحة العامة، والوزارات والجهات المعنية بمكافحة المخدرات في الإمارة الإسلامية.
٦. تحليلات السياسيين، والناشطين الثقافيين، والخبراء القانونيين.٧. مأخذونه

الفصل الثالث
الخوارج المعاصرون

بعد الفتح: نجاح الإمارة الإسلامية في مواجهة تنظيم داعش

قيس سعيد

عندما رُفع، في 15 أغسطس/آب 2021م، الموافق لـ24 أسد 1400هـ ش، العلم الأبيض للفتح فوق مآذن كابل الشامخة، وسقط، على نحو مذهل، ذلك الوجود العسكري المعقد للاحتلال الأجنبي الذي استمر عشرين عامًا أمام العزيمة الاستثنائية للأبطال الاستشهاديين والمجاهدين المخلصين، ألقيت آخر الأوراق وأكثرها خبثًا في الميدان من جانب أجهزة استخبارات سرية وعلنية، بهدف التقليل من شأن هذا الانتصار الكبير لثورة تحرير البلاد وتشويه صورته؛ وكانت تلك الورقة هي مشروع التطرف الذي أطلق عليه اسم «داعش»، والذي كان، بحسب هذا الطرح، يؤدي في حقيقته أهداف أجهزة استخبارات إقليمية ودولية ضد النظام الإسلامي.

وقد ظنت عناصر هذه الفتنة والجهات السياسية والاستخباراتية التي تقف وراءها وتموّلها، أن النظام الجديد للإمارة الإسلامية سيكون، في بداياته، منشغلًا إلى حد كبير بتأسيس الأطر الإدارية، وإنعاش النظام الاقتصادي الذي أصيب بالشلل، وتنظيم الأجهزة الأمنية، بما يتيح لهم فرصة التحرك بسهولة؛ وذلك من خلال شن هجمات على أماكن العبادة والتعليم الخاصة بالمسلمين الأبرياء والمدنيين، وإثارة الحرب النفسية والخوف العام، وتقويض ثقة الناس بالنظام غير أنهم ارتكبوا خطأ حين استخفوا بالقدرات الاستخباراتية العالية للمجاهدين، وبعزيمتهم التي لا تلين، وبالدعم المباشر الذي حظوا به من أبناء الشعب.

وبعد الفتح مباشرة، كانت الاستراتيجية التي وضعتها الإمارة الإسلامية لقمع هذه الفتنة، لافتة للغاية. فبدلًا من اتخاذ موقف دفاعي، بدأت رئاسة الاستخبارات العامة والقوات الخاصة سلسلة واسعة ومنظمة من العمليات الأمنية الحاسمة على مستوى البلاد. وتعرضت المراكز المهمة لهذه الشبكة المتطرفة ومخابئ الإرهاب السرية في كابل وننغرهار وكونر وجوزجان وفارياب لهجمات شديدة ومباغتة. وأسفرت هذه الاشتباكات والعمليات المهمة عن مقتل مئات من عناصر التنظيم الأجانب والمحليين، كما جرى تعطيل جميع المسارات التي كانت تُستخدم لإرسال المقاتلين إلى أفغانستان من الخارج.

وكانت الضربة الأشد التي تلقاها التنظيم عندما تعرض مخططوه وقادته

العسكريون لعمليات دقيقة وسريعة؛ ومن بينهم المسؤول العسكري العام للتنظيم، المعروف باسم «قاري فاتح» والذي كان يُشار إليه أيضًا باسم «كوتري»، والوالي السابق ثم القاضي العام الشيخ محمد، والقائد العسكري البارز الآخر إعجاز أمين آهنغر (أبو عثمان الكشميري)، إضافة إلى حسين، المسؤول عن الشؤون المالية والإعلامية. وقد قُتل جميع هؤلاء الأشخاص الرئيسيين، قبل أن يتمكنوا من تنفيذ مخططاتهم المشؤومة، خلال عمليات استهدفت مخابئهم في كابل وننغرهار وبلخ، نفذتها رئاسة الاستخبارات العامة.

وبالتوازي مع هذه الضربات العسكرية، جرت المواجهة الأكثر محورية، وفقًا للمقال، عبر قطع مصادر تمويل التنظيم ومنابره الدعائية. وكما هو معلوم، فإن مثل هذه التيارات المتطرفة والتكفيرية لا تستطيع، بحسب الكاتب، أن تجد لها فكرًا شعبيًا أو جذورًا مادية داخل مجتمع إسلامي أفغاني، وإنما تعتمد بصورة كاملة على الأموال المحولة إليها من الخارج، وعلى دعم الجهات الاستخباراتية الأجنبية الممولة لها، وعلى المنابر الافتراضية في شبكة الإنترنت.

وقد فرضت الإمارة الإسلامية رقابة دقيقة على التدفقات المالية الخاصة بهم، وقيدت عمليات نقل العملات بصورة غير قانونية، ومن جهة أخرى، كشف علماء بارزون على مستوى البلاد، من خلال الفتاوى الدينية والبحوث الشفافة، الوجه الحقيقي لهذه الجماعة التكفيرية أمام الشعب الأفغاني. ولم يؤدِّ ذلك إلى تجفيف مصادر تمويلها فحسب، بل أدى أيضًا، بحسب الكاتب، إلى إسقاط الشعارات الإسلامية الزائفة التي كانت ترفعها وفقدانها لقيمتها وتأثيرها.

واليوم، ومع اقتراب مرور خمس سنوات على ذلك الفتح التاريخي، فإن تلك الفتنة التي كانت أجهزة الاستخبارات الإقليمية والدولية والشبكات الإعلامية الغربية تروّج لاحتمال تسببها في حروب واضطرابات كبرى، قد وصلت، بصورة منظمة، إلى مراحل الاستسلام والانحسار والزوال.

إن الأداء المهني والسريع لأجهزة الإمارة، لم يؤدِّ فقط إلى تطهير الحدود الجغرافية لأفغانستان من أي وجود مستدام أو نشاط لتنظيم داعش، بل أثبت أيضًا لدول المنطقة والدول المجاورة أن النظام الحاكم في كابل هو الضامن الحقيقي للأمن والاستقرار.

وتثبت هذه المواجهة، دون أدنى جدال، حقيقة مفادها أنه لا يمكن لأي مشروع أجنبي، أو موال لقوى خارجية، أو متأثر بأجندات استخباراتية، أن يتحدى الاستقرار الدائم لهذه الأرض الإسلامية في مواجهة الحق والعزيمة الراسخة للقوات الأمنية والدفاعية للإمارة الإسلامية، وأن كل فتنة ستواجه في صفحات التاريخ المظلمة هزيمة مذلّة ومؤلمة مماثلة، إن شاء الله.

لماذا يفضّل الخوارج قتل المسلمين على قتال الكفار؟!

نعمان سعيد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

إن الناظر في تاريخ الخوارج قديمًا وحديثًا لا يكاد يجد أرضًا فتحوها من الكفار أو المشركين، ثم أقاموا فيها حكم الإسلام، أو مكّنوا المسلمين منها، أو أدخلوا أهلها في الإسلام.

وكذلك لا نجد في تاريخهم أنهم نهضوا ابتداءً لقتال المشركين أو الكفار الخُلّص، مع أنهم امتلكوا في بعض مراحل التاريخ قوةً وشوكةً وكثرةً من الرجال والوسائل. وإنما كان دأبهم في كل زمان ومكان أن يثوروا على المسلمين، ولا سيما من يقف سدًّا أمام الكفار، أو يخالف فكرهم التكفيري، ثم لا يتورعون عن قتل المسلمين وتعذيبهم واستئصالهم.

وسنبين في هذه المقالة أولًا أوجه الاتفاق الفكري والعقدي والعملي بين الخوارج المتقدمين والمعاصرين، ثم نوضح، في ضوء الأحاديث النبوية وأقوال العلماء المتقدمين، لماذا كان المسلمون هم الهدف الأساسي للخوارج، ولماذا يفضّلون قتلهم على قتال الكفار.

أوجه الاتفاق بين الخوارج المتقدمين والمعاصرين:

1 القوة والإمكانات

يمتلك الخوارج المعاصرون، مثل تنظيم داعش، قدرًا من القوة والوسائل والإمكانات، كما امتلكها أسلافهم من قبل؛ لكنهم لا يستخدمونها في قتال المشركين والكفار، بل يوجّهونها ضد المسلمين.

2 قتل المسلمين

يُخرج الخوارج المعاصرون، مثل أسلافهم، كلّ من لا يتبنى أفكارهم أو يعارض منهجهم من دائرة الإسلام، بناءً على تأويلاتهم المنحرفة وأهوائهم النفسية وتفسيراتهم الباطلة.

وكما كان الخوارج المتقدمون يقتلون المسلمين ولا يكادون يلحقون الضرر بالكفار، فإن الخوارج المعاصرين يهاجمون المسلمين والدول والمجتمعات الإسلامية.

لماذا يفضّل الخوارج قتل المسلمين على قتال الكفار؟!

نعمان سعيد

3 التهاون في مواجهة الكفار

كان الخوارج المتقدمون يتركون المشركين والكفار ولا يقاتلونهم، وكذلك يفعل الخوارج المعاصرون. وقد ينفذون أحيانًا بعض العمليات ضد غير المسلمين، لكنها تظل محدودة وضعيفة، وغالبًا ما ترتبط بمشروعات وأهداف معينة، بينما ينصب تركيزهم الأساسي على إثارة الصراعات والفتن داخل المجتمعات الإسلامية.

4 استغلال الاختلاف والفرقة

يستغل الخوارج المعاصرون اختلاف المسلمين وصراعاتهم، كما كان يفعل أسلافهم، ويظهرون في أوقات الفتن والانقسامات. إنهم يتخذون من إشعال الفتن وتمزيق وحدة المسلمين وسيلة لتحقيق أهدافهم ومخططاتهم، ولا يتورعون في سبيل ذلك عن ارتكاب أبشع صور العنف والوحشية.

5 التأويلات الفكرية المنحرفة

لا يتمسك الخوارج المعاصرون بنصوص الشريعة الإسلامية والسنة النبوية وفق فهمها الصحيح، بل يحاكمون الأشخاص والأحداث استنادًا إلى فهمهم المتطرف، وتأويلاتهم المنحرفة، وتفسيراتهم الخاطئة، وأهوائهم النفسية، كما كان يفعل الخوارج المتقدمون.

لماذا يقتل الخوارج المسلمين ويتركون الكفار؟

يقول العلماء إن ترك الخوارج قتال المشركين وتوجيه سلاحهم إلى المسلمين من علامات نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أخبر عنهم بقوله: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ». متفق عليه: رواه البخاري ومسلم. وقال العلامة القرطبي رحمه الله في كتابه «المفهم» عند شرحه لهذا الحديث: قوله: «يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان» هذا منه صلى الله عليه وسلم إخبار عن أمر غيب وقع على نحو ما أخبر عنه، فكان دليلًا من أدلة نبوته صلى الله عليه وسلم. أي إن قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان» إخبار منه بأمر غيبي، وقد وقع كما أخبر، فكان ذلك من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم. وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري»: هو مما أخبر به عليه

3 التهاون في مواجهة الكفار

كان الخوارج المتقدمون يتركون المشركين والكفار ولا يقاتلونهم، وكذلك يفعل الخوارج المعاصرون. وقد ينفذون أحيانًا بعض العمليات ضد غير المسلمين، لكنها تظل محدودة وضعيفة، وغالبًا ما ترتبط بمشروعات وأهداف معينة، بينما ينصب تركيزهم الأساسي على إثارة الصراعات والفتن داخل المجتمعات الإسلامية.

4 استغلال الاختلاف والفرقة

يستغل الخوارج المعاصرون اختلاف المسلمين وصراعاتهم، كما كان يفعل أسلافهم، ويظهرون في أوقات الفتن والانقسامات. إنهم يتخذون من إشعال الفتن وتمزيق وحدة المسلمين وسيلة لتحقيق أهدافهم ومخططاتهم، ولا يتورعون في سبيل ذلك عن ارتكاب أبشع صور العنف والوحشية.

5 التأويلات الفكرية المنحرفة

لا يتمسك الخوارج المعاصرون بنصوص الشريعة الإسلامية والسنة النبوية وفق فهمها الصحيح، بل يحاكمون الأشخاص والأحداث استنادًا إلى فهمهم المتطرف، وتأويلاتهم المنحرفة، وتفسيراتهم الخاطئة، وأهوائهم النفسية، كما كان يفعل الخوارج المتقدمون.

لماذا يقتل الخوارج المسلمين ويتركون الكفار؟

يقول العلماء إن ترك الخوارج قتال المشركين وتوجيه سلاحهم إلى المسلمين من علامات نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أخبر عنهم بقوله: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ». متفق عليه: رواه البخاري ومسلم. وقال العلامة القرطبي رحمه الله في كتابه «المفهم» عند شرحه لهذا الحديث: قوله: «يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان» هذا منه صلى الله عليه وسلم إخبار عن أمر غيب وقع على نحو ما أخبر عنه، فكان دليلًا من أدلة نبوته صلى الله عليه وسلم. أي إن قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان» إخبار منه بأمر غيبي، وقد وقع كما أخبر، فكان ذلك من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم. وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري»: هو مما أخبر به عليه السلام من المغيبات، فوقع كما قال. وقال ابن حزم رحمه الله في كتابه «الفصل»: قالوا باستعراض كل من لقوه من غير أهل عسكرهم ويقتلونه إذا قال: أنا مسلم، ويحرمون قتل من انتمى إلى اليهود والى النصارى أو إلى المجوس! وبهذا شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمروق من الدين كما يمرق السهم من الرمية، إذ قال عليه السلام: «إنهم يقتلون أهل الإسلام ويتركون

أهـل الأوثـان»، وهـذا مـن أعلام نبوتـه صلـى اللّه عليـه وسـلم؛ إذ أنـذر بذلـك، وهـو مـن جزئيات الغيب، فخرج نصًّا كما قال.

ومعنـى كلامـه أن الخـوارج كانـوا يسـتوقفون كل مـن يلقونـه ممـن ليـس مـن جماعتهـم، فـإذا قـال: «أنـا مسـلم» قتلـوه، بينمـا يمتنعـون عـن قتـل مـن ينتسـب إلـى اليهوديـة أو النصرانيـة أو المجوسـية! وقـد شـهد رسـول اللّه صلـى اللّه عليـه وسـلم، بسـبب صنيعهـم هـذا، بأنهـم يمرقـون مـن الديـن كمـا يمـرق السـهم مـن الرميـة؛ إذ قـال: «إنهـم يقتلـون أهـل الإسلام ويتركـون أهـل الأوثـان». وكان هـذا مـن أعلام نبوتـه صلـى اللّه عليـه وسـلم؛ لأنـه أخبـر بـه قبـل وقوعـه، وهـو مـن جزئيـات الغيـب، ثم وقع مطابقًا لما أخبر به.

وروى الإمـام أحمـد فـي «كتـاب السـنة» عـن عـون بـن عبـد اللّه أنـه قـال: بعثنـي عمـر بـن عبـد العزيـز إلـى الخـوارج أكلمهـم، فقلـت لهـم: هـل تـدرون مـا علامتكـم فـي وليكـم التـي إذا لقيكـم بهـا أمـن بهـا عندكـم وكان بهـا وليكـم؟ ومـا علامتكـم فـي عدوكـم التـي إذا لقيكـم بهـا خـاف بهـا عندكـم وكان بهـا عدوكـم؟

قالوا: ما ندري ما تقول!

قلـت: فـإن علامتكـم عنـد وليكـم التـي إذا لقيكـم بهـا أمـن بهـا عندكـم وكان بهـا وليكـم أن يقـول: أنـا نصرانـي! أو يهـودي! أو مجوسـي! وعلامتكـم عنـد عدوكـم التـي إذا لقيكـم بهـا خـاف بهـا عندكـم وكان بهـا عدوكـم أن يقـول: أنـا مسلم.

أي إن عمـر بـن عبـد العزيـز رحمـه اللّه أرسـل عـون بـن عبـد اللّه إلـى الخـوارج لمناظرتهم، فقال لهم:

«هـل تعرفـون العلامـة التـي إذا جاءكـم بهـا الرجـل أمـن عندكـم وعاملتمـوه معاملـة الصديـق؟ وهـل تعرفـون العلامـة التـي إذا جاءكـم بهـا الرجـل خـاف منكـم وعاملتمـوه معاملـة العـدو؟» فقالـوا: «لا نـدري مـا الـذي تقصـده». فقـال لهـم: «إن علامـة وليكـم الـذي يأمـن عندكـم أن يقـول: أنـا نصرانـي، أو يهـودي، أو مجوسـي! أما علامة عدوكم الذي يخاف منكم، فهي أن يقول: أنا مسلم!»

وقـال الإمـام الشـاطبي رحمـه اللّه فـي كتابـه «الاعتصـام»: أخـذوا فـي قتـال أهـل الإسلام بتأويـل فاسـد، زعمـوا عليهـم أنهـم مجسـمون وأنهـم غيـر موحديـن، وتركـوا الانفراد بقتال أهل الكفر من النصارى والمجاورين لهم وغيرهم.

وقـال شـيخ الإسلام ابـن تيميـة رحمـه اللّه فـي «مجمـوع الفتـاوى»: هـؤلاء الخـوارج المارقـون، مـن أعظـم مـا ذمهـم بـه النبـي صلـى اللّه عليـه وسـلم أنهـم يقتلـون أهـل الإسلام ويدعـون أهـل الأوثـان. وذكـر أيضًـا: أنهـم يخرجـون علـى حيـن فرقـة مـن

النـاس. أي إن مـن أعظـم الصفـات التـي ذم النبـي صلـى الله عليـه وسـلم الخـوارج بسببها أنهم يقتلون المسلمين ويتركون المشركين، وأنهم يظهرون في أوقات الفرقة والاختلاف بين الناس.

أسباب استهداف الخوارج للمسلمين

يتضح من الأحاديث النبوية وأقوال العلماء أن تفضيل الخوارج قتل المسلمين على قتال الكفار يرجع إلى جملة من الأسباب، من أهمها:

1 التوسع في التكفير

يعتقد الخوارج أن كل من خالفهم أو لم ينضم إلى جماعتهم قد خرج من الإسلام؛ ولذلك يستحلون دمه وماله، بينما يرون الكافر الأصلي على حاله المعروفة، فلا ينشغلون به كما ينشغلون بمن حكموا عليه بالردة.

2 فساد فهمهم للنصوص الشرعية

يأخذ الخوارج بعض النصوص الشرعية ويعزلونها عن سياقها وضوابطها، ثم يفسرونها وفق أهوائهم فينزّلون الآيات الواردة في الكفار على المسلمين، ويحكمون بالكفر والردة على أهل الإسلام بسبب الذنوب أو الخلافات السياسية والفكرية.

3 اعتقادهم أن مخالفيهم من المسلمين أشد خطرًا

ينظر الخوارج إلى المسلم المخالف لهم باعتباره مرتدًّا أو مانعًا لمشروعهم، ومن ثم يعدّونه أخطر من الكافر الأصلي. ولذلك يجعلون قتال المسلمين المخالفين لهم مقدّمًا على قتال الكفار.

4 ظهورهم في أوقات الفتن والانقسام

ينشط الخوارج حين تضعف وحدة المسلمين وتكثر الخلافات بينهم؛ لأن هذه البيئة تتيح لهم نشر التكفير، واستقطاب الجهلة والمندفعين، وتصفية خصومهم تحت شعارات دينية.

5 رغبتهم في السيطرة على المجتمعات الإسلامية

لا يستطيع الخوارج بناء مشروعهم إلا بعد إزالة العلماء والدعاة والقادة والجماعات الإسلامية التي تكشف انحرافهم وتقف في طريقهم؛ ولهذا يوجهون معظم قوتهم إلى الداخل الإسلامي.

6 تقديم الهوى والتنظيم على حرمة الدماء

يصبح الانتماء إلى جماعتهم عندهم معيارًا للولاء والبراء؛ فمن انضم إليهم أمِن، ومن خالفهم استُبيح دمه، ولو كان مسلمًا يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

الخلاصة

إن استهداف الخوارج للمسلمين ليس أمرًا عارضًا أو خطأً فرديًّا، بل هو نتيجة حتمية لمنهجهم القائم على الغلو في التكفير، وفساد التأويل، واتباع الهوى، واستغلال الفتن والانقسامات.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن أبرز صفاتهم بقوله: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان»، فكان تاريخهم القديم والحديث شاهدًا على صدق هذا الخبر النبوي.

فهم يرفعون شعارات الدفاع عن الإسلام، لكن أكثر دمائهم المسفوكة هي دماء المسلمين، وأكثر ساحاتهم اشتعالًا هي بلاد المسلمين، وأكثر ضحاياهم هم الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. ولهذا كان خطرهم على الأمة شديدًا؛ لأنهم يتحدثون باسم الدين، ويستدلون بنصوصه، ثم يضعونها في غير مواضعها، ويحوّلونها إلى وسيلة لتكفير المسلمين، وتمزيق جماعتهم، واستباحة دمائهم وأموالهم.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قداسة الهجرة واستغلال داعش لها !

خالد أحرار

تحتل الهجرة مكانة رفيعة ومقدسة في التعاليم الإسلامية. يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 41]

والهجرة هي مغادرة بيئة الظلم والكفر حفاظًا على الدين والعقيدة وإقامة الحياة الإسلامية. وقد شكلت هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة محطة مفصلية في التاريخ الإسلامي، وأصبحت رمزًا للصبر والتضحية وقوة الإيمان. والهجرة الحقيقية تكون ابتغاء مرضاة الله، لا لتحقيق مصالح شخصية أو خدمة أجندة سياسية لجماعة معينة. غير أن جماعات متطرفة مثل داعش، ولا سيما فرعها في خراسان، أساءت استخدام هذا المفهوم المقدس، وحولته من مفهوم ديني إلى أداة لخدمة أجندتها الدعائية والعسكرية.

«الهجرة» في خطاب داعش:

تعتمد داعش في دعايتها، عبر وسائل التواصل الاجتماعي والمجلات والقنوات المرتبطة بفرعها في خراسان، على الحديث المستمر عن إعادة إقامة «الخلافة» وتحقيق «التمكين». وتوجه رسائلها إلى المسلمين في الخارج، ولا سيما من باكستان وأفغانستان وآسيا الوسطى وحتى أوروبا، وتقول لهم إن هناك «تمكينًا» ومراكز جاهزة، وإن كل شيء منظم لاستقبالهم وتعدهم بالسكن والكرامة والأخوّة، وبمكان داخل مشروع «الخلافة»، وتقدم هجرتهم باعتبارها عملًا ذا مكانة رفيعة في خدمة الإسلام. وتبدو هذه الوعود مغرية، خصوصًا للشباب الذين يواجهون أوضاعًا اقتصادية واجتماعية وسياسية صعبة في بلدانهم. لكن هذه الوعود، في كثير من الحالات، ليست سوى خداع دعائي.

ما وراء الوعود:

تعمل داعش في باكستان بصورة معلنة وفي أفغانستان بصورة سرية، لكنها لا تملك تمكينًا كاملًا ولا خلافة قائمة على الأرض. وتعتمد الجماعة

علـى شـبكات سـرية ومواقـع فـي المناطـق الحدوديـة والغابـات، فيمـا تركـز هجماتها بصـورة أساسـية علـى اسـتهداف المسـلمين، بـدلًا مـن بنـاء حكومـة أو إقامـة نظـام إسلامـي. وكثيـر ممـن يهاجـرون إليهـا بحسـن نيـة، متأثريـن بوعودهـا بإقامـة الخلافـة، يجـدون أنفسـهم فـي نهايـة المطـاف مسـتخدمين مـن قبـل داعـش خراسـان ضـد المسـلمين فـي أفغانسـتان والمنطقـة. يقـال لهـم إن كل شـيء جاهـز، لكنهـم بعـد الوصـول يجـدون أنفسـهم فـي سـاحات القتـال أو أمـام خيـار المشـاركة فـي أعمـال تسـتهدف مسـلمين آخريـن. وتشـير تقاريـر خـلال عامـي 2025 و2026 إلـى اسـتمرار اسـتفادة داعـش مـن الأجانـب فـي عمليـات التجنيـد والاسـتقطاب.

«الخلافة» التي لا تتجاوز الإعلام

إن «خلافـة» داعـش موجـودة فـي الإعلام أكثـر ممـا هـي موجـودة علـى الأرض. أمـا الواقـع، فيتمثـل فـي نشـاط سـري لمجموعـات متطرفـة وتنفيـذ هجمـات متفرقـة. ويسـتخدم التنظيـم شـعار «الهجـرة» لاسـتقطاب الأشـخاص، لكـن النتيجـة هـي الفتنـة والقتـل وتعميـق الانقسـام بيـن المسـلمين.

لماذا يمثل استغلال الهجرة خطرًا؟

أولًا الإساءة إلى قداسة الهجرة

الهجـرة فـي الإسـلام تعنـي الخـروج مـن الظلـم حفاظًـا علـى الديـن والحيـاة الإسـلامية، وليسـت وسـيلة للإرهـاب وإثـارة الفتنـة.

ثانيًا تدمير الشباب

يذهـب كثيـر مـن الأبريـاء بحسـن نيـة، لكنهـم قـد ينتهـون قتلـى أو يجـدون أنفسـهم متورطيـن فـي جرائـم وأعمـال عنـف.

ثالثًا إشعال الفتنة بين المسلمين

تـؤدي هجمـات داعـش خراسـان، فـي المقـام الأول، إلـى سـقوط ضحايـا فـي صفـوف المسـلمين، وقتـل المسـلمين وإثـارة الاقتتـال بينهـم مـن أخطـر صـور الفتنـة.

رابعًا الخداع الدعائي

إن «التمكيـن» الـذي تعرضـه داعـش فـي وسـائل الإعـلام لا يعكـس واقعًـا حقيقيًـا، بـل يعتمـد علـى صـور ومقاطـع لعناصـر محـدودة مـن التنظيـم، بهـدف إظهـار قـوة ونفـوذ أكبـر مـن الواقـع.

الهجرة ليست طريقًا إلى التطرف

وخلاصة الأمر أن الهجرة عمل مقدس يحتل مكانة عالية في الإسلام، لكن جماعات متطرفة مثل داعش أساءت استخدام هذا المفهوم لتجنيد الأفراد وخدمة أجندتها التدميرية.

وعلى المسلمين أن يدركوا خطورة هذه الدعاية، وألا ينساقوا وراء الوعود التي تقدمها التنظيمات المتطرفة، وألا يقدموا على أي «هجرة» دون الرجوع إلى علماء موثوقين وأهل علم. فالإسلام الحقيقي يدعو إلى وحدة المسلمين، لا إلى قتلهم وإثارة الفتن بينهم. وتستمر محاولات داعش الدعائية والتجنيدية خلال عامي 2025 و2026، فيما تواصل الأجهزة الأمنية مراقبة نشاطها. ومن واجب كل مسلم أن يدرس تعاليم الإسلام الصحيحة، وأن يحذر من الوعود الكاذبة، وألا يقع في فخ الدعاية والشعارات والوعود التي لا أساس لها.

ظهور تنظيم داعش وخلفيته في الصومال !

أحرار جمشيد

ظهر فرع تنظيم داعش في الصومال، الواقع في شرق إفريقيا، والذي يُعرف أيضًا باسم «أبناء الخلافة»، في أكتوبر/تشرين الأول عام 2015م، عندما انشق عبد القادر مؤمن، أحد أعضاء حركة الشباب الجهادية، والذي كان يُوصَف داخل صفوفها بالتشدد وإثارة الخلافات.

وكان مؤمن ينشط في منطقة بونتلاند شبه المستقلة، فانفصل برفقة مجموعة من أتباعه قليلي العلم والخبرة، وأعلن في رسالة مصورة مبايعته لزعيم تنظيم داعش آنذاك، أبي بكر البغدادي. وكانت هذه البيعة بداية تأسيس فرع تنظيم داعش في الصومال.

ويرى محللون أمنيون أنه في الوقت الذي كانت فيه حركة الشباب الجهادية تتقدم بسرعة في الصومال، جرى، بالتنسيق والتشاور بين الحكومة المركزية والجهات الاستخباراتية الأجنبية، إبراز هذه المجموعة بقيادة عبد القادر مؤمن ضمن مساع طويلة الأمد للحد من نشاط الحركات الجهادية في البلاد، ثم رُبطت بقيادةً تنظيم داعش المركزية في بلاد الشام.

بعد إعلان البيعة، ظل هذا الفرع في بدايته محدود العدد والنفوذ، ودخل في مواجهات عنيفة مع حركة الشباب الجهادية وغيرها من الجماعات المسلمة. وفي ديسمبر/كانون الأول عام 2017م، اعترفت القيادة المركزية لتنظيم داعش به رسميًّا بوصفه إحدى ولايات التنظيم، وأطلقت عليه اسم «ولاية الصومال».

وينشط التنظيم بصورة أساسية في منطقة بونتلاند، شمال شرقي الصومال، ولا سيما في المناطق الجبلية التابعة لإقليم باري.

أسباب عودة تنظيم داعش إلى النشاط في الصومال:

ظل فرع تنظيم داعش في الصومال ضعيفًا نسبيًّا خلال السنوات الماضية، لكنه أظهر خلال عامي 2024 و2025م نشاطًا متزايدًا وقدرةً أكبر على إعادة تنظيم صفوفه. ويمكن تلخيص أبرز أسباب عودته إلى الظهور فيما يأتي:

أولًا: ضعف الحكومة المركزية واستمرار الاضطراب السياسي

يوفر ضعف الحكم المركزي في الصومال واستمرار حالة عدم الاستقرار السياسي بيئة مناسبة لنشاط تنظيم داعش. ويظهر ذلك بصورة خاصة في منطقة بونتلاند شبه المستقلة، حيث تعاني السلطات من ضعف السيطرة

الحكومية، وتتزايد النزاعات القبلية، كما تدفع المشكلات الاقتصادية قطاعات من السكان إلى اليأس والإحباط. ويستغل تنظيم داعش هذه الثغرات لتجنيد الأفراد وتوسيع نفوذه وتعزيز حضوره في المنطقة.

ثانيًا: ازدياد أعداد المقاتلين الأجانب

شهد فرع تنظيم داعش في الصومال زيادة كبيرة في أعداد المقاتلين الأجانب، وتشير بعض التقديرات إلى أن نحو 60 في المائة من مقاتليه ينحدرون من خارج الصومال. ويأتي هؤلاء المقاتلون من دول إفريقية مختلفة ومن بعض دول المنطقة، الأمر الذي يوفر للتنظيم قوة أكثر تنظيمًا وخبرة. كما أن عبد القادر مؤمن، زعيم فرع التنظيم والموجود في الصومال منذ سنوات، أصبح يؤدي دورًا مهمًّا داخل الهيكل القيادي لتنظيم داعش على المستوى الدولي، وهو ما قد يسهم في حصول فرعه على المزيد من الدعم المالي واللوجستي.

ثالثًا: امتلاك مصادر مالية قوية

تمكن تنظيم داعش في بونتلاند من بناء مصادر مالية قوية عن طريق الابتزاز وفرض الضرائب الإجبارية، بالإضافة إلى استخدام العملات المشفرة.ويفرض التنظيم مبالغ مالية شهرية على التجار والشركات، ويهدد من يمتنع عن الدفع أو ينفذ هجمات ضده.

فعلى سبيل المثال، تسبب التنظيم خلال عام 2024م في إغلاق عدد من المستشفيات الكبرى والشركات في مدينة بوصاصو؛ بسبب رفضها دفع الأموال التي كان يطالب بها. وتشير تقارير صادرة عن جهات غربية والأمم المتحدة إلى أن تنظيم داعش في الصومال يجمع ملايين الدولارات من التجار والشركات وقطاعات الاستيراد والثروة الحيوانية والزراعة، تحت مسمى «الضرائب الإجبارية» أو «الزكاة».

وتُستخدم هذه الأموال في دفع رواتب المقاتلين، وشراء الأسلحة، وتمويل عمليات التجنيد والتوسع.

رابعًا: الصراع مع حركة الشباب وتغير الظروف الأمنية

أوجد الصراع بين تنظيم داعش وحركة الشباب الجهادية، بالتزامن مع حالة عدم الاستقرار الأمني في المنطقة، فرصةً لتنظيم داعش لتوسيع نشاطه. كما أسهم تراجع حضور بعض القوات الغربية والتغيرات التي طرأت على مهمة «أتميس» في خلق فراغات أمنية استفاد منها التنظيم. وعلى الرغم من أن تنظيم داعش لا يزال أضعف من حركة الشباب الجهادية داخل الصومال، فإن ارتباطه بالشبكة الدولية لتنظيم داعش يمنحه بعض المزايا المالية والعملياتية، وهو ما أسهم في تسريع نموه وتعزيز قدراته خلال السنوات الأخيرة.

الفصل الرابع
كتابات دينية
وجهـــادية

غرناطة بالأمس، غزة اليوم: معركة البقاء آخر معاقل الإسلام

نعمان سعيد

كان بقاء مملكة غرناطة الإسلامية في الأندلس قرنين كاملين إحدى أبرز معجزات التاريخ الإسلامي. فقد ظلت هذه المملكة الإسلامية الصغيرة تصمد وسط بحر عاصف من كراهية العالم المسيحي وعدائه ومكائده التاريخية، وما كان لها أن تحقق هذا الصمود الطويل والمشهود لولا أن روح المقاومة فيها كانت متجذرة في العقيدة والمبادئ الإسلامية.

فلولا العقيدة الإسلامية، لما تمكنت غرناطة من الوقوف وحدها في وجه أعدائها، بعدما كانت المدن والقلاع الإسلامية الأخرى قد سقطت قبلها بقرنين. وكان سر صمودها يكمن في الفكر الإسلامي والحضارة التي حافظت عليها طوال تلك الفترة.

كان أهل غرناطة يدركون أنهم محاصرون بعدو ينتظر الفرصة للقضاء عليهم، وأن انتظار النجدة من العالم الإسلامي لم يعد خيارًا ممكنًا؛ ولذلك أدركوا أن عليهم الاعتماد على أنفسهم.

وكان هذا الإدراك أكبر حافز لهم للبقاء في حالة استعداد دائم، ورفع راية الجهاد، والتمسك بإسلامهم. وهكذا بقيت غرناطة حتى عام 1492م (897هـ) آخر ممالك الأندلس الإسلامية، ومنارة للعلوم، وآخر مشعل متوهج للحضارة الإسلامية في أوروبا.

لكن المشهد تغير في السنوات التي سبقت سقوطها. فقد تشكل تحالف مسيحي قوي، اتحدت فيه مملكتا أراغون وقشتالة، وهما أكبر مملكتين مسيحيتين في مواجهة الإسلام.

واكتمل هذا التحالف بزواج ملكة قشتالة إيزابيلا من ملك أراغون فرناندو. وكان حلم الملكين الكاثوليكيين الاستيلاء على غرناطة، وقضاء شهر العسل في قصر الحمراء، ورفع الصليب فوق أعلى أبراج المدينة.

في المقابل، كانت مملكة غرناطة تعاني انقسامات حادة، ولا سيما داخل الأسرة الحاكمة نفسها. وكانت المملكة الصغيرة قد انقسمت إلى قسمين؛ أحدهما في العاصمة غرناطة، تحت حكم أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن النصري، آخر ملوك غرناطة، والآخر في وادي آش والمناطق المحيطة بها، تحت

حكم عمه أبي عبد الله محمد.
وفي عام 894هـ، شن الملوك الكاثوليك هجومهم على وادي آش والمناطق التابعة لها، وتمكنوا من السيطرة على وادي آش والمرية وبسطة ومناطق أخرى، حتى وصلوا إلى أبواب غرناطة.
ثم أرسلوا وفدًا إلى أبي عبد الله النصري، وطالبوه بتسليم قصر الحمراء، مقابل السماح له بالبقاء في غرناطة تحت حمايتهم.
كان أبو عبد الله حاكمًا ضعيفًا ولم يستعد لهذا اليوم، لكنه أدرك أن قبول العرض يعني استسلام آخر مملكة إسلامية في الأندلس، ولذلك رفضه. واندلعت الحرب بين المسلمين والمسيحيين واستمرت عامين.

موسى بن أبي الغسان.. آخر وهج للمقاومة:

في هذه الحرب، برز بطل مسلم أبقى جذوة الشجاعة والثبات مشتعلة في قلوب المقاتلين، هو موسى بن أبي الغسان. ظهر في اللحظة الأخيرة، كآخر شعاع للشمس قبل الغروب.
وبفضل هذا البطل ورفاقه، صمدت غرناطة عامين في وجه الملوك الكاثوليك، وتحملت حصارًا قاسيًا استمر سبعة أشهر.
لكن نتيجة الحرب كانت تقترب من نهايتها. فقد كان أبو عبد الله، عاجزًا عن حماية المملكة التي بقيت له كما ينبغي. وكانت الخلافات الداخلية والانقسامات، في مقابل وحدة الجبهة المسيحية، تمنح العدو فرصة ثمينة.
كما تراكمت عوامل أخرى على مدى سنوات طويلة، من الانحرافات التاريخية والتعصبات القومية والنزاعات والخلافات التي ابتعدت عن الشرع والمبادئ، فضلًا عما ورثته غرناطة من آثار الممالك الإسلامية التي سبقتها وسقطت.
واجتمعت هذه العوامل لتطفئ آخر شمعة للإسلام في الأندلس. وعندما ركب أبو عبد الله، آخر ملوك غرناطة، السفينة وغادر المملكة الإسلامية، كان يودع أرضًا عاش فيها الإسلام ثمانية قرون في أوروبا. وفي ذلك المشهد المأساوي، بكى ملكه الضائع، فسمع من أمه عبارتها التاريخية: «ابكِ الآن كالنساء مُلكًا لم تحافظ عليه كالرجال» ولم تكن هذه العبارة توبيخًا لابنها وحده؛ فقد أصبحت إدانة لكثير من حكام العالم الإسلامي الذين بكوا على ممالك لم يحافظوا عليها عندما كان الدفاع عنها ممكنًا. إن سقوط غرناطة ليس مجرد صفحة سوداء في التاريخ، بل درس حي للأمة الإسلامية، وعبرة مؤلمة، وإنذار للأجيال القادمة. فغرناطة لم تسقط يوم أصبح العدو قويًا فقط، بل سقطت عندما ضعف المسلمون، وفرقتهم الخلافات، وحلت المصالح

الشخصية محل مصالح الأمة، وانشغل كل طرف بالحفاظ على سلطته ونفوذه وموقعه.

غزة.. غرناطة جديدة؟

اليوم، عندما ينظر المرء إلى غزة، ويرى الحصار والجوع والقصف وصراخ الأطفال ودموع الأمهات وصمت الأمة، تعود إلى الذاكرة الأيام الأخيرة لغرناطة. المشهد نفسه، والألم نفسه، والتاريخ يبدو وكأنه يعيد نفسه. هناك تُرك المسلمون وحدهم، واليوم تقف غزة كذلك في مواجهة ظلم العالم، ووحدة العدو، وعجز الأمة. كان أهل غرناطة يعرفون أنه لا توجد قوة كبيرة خلفهم يمكنهم الاعتماد عليها، ولذلك اعتمدوا على إيمانهم وجهادهم وتضحياتهم وصمودهم. وغزة اليوم تقف بالروح نفسها. فأطفال يحفظون القرآن تحت القصف، وأمهات يودعن أبناءهن الشهداء بفخر، ومقاتلون يواصلون المقاومة في مواجهة أسلحة متطورة؛ كلها صور تجسد، بقاء العقيدة الإسلامية وروح المقاومة. لكن التاريخ يقول أيضًا إن تضحيات عدد من الأبطال وحدها لا تنقذ أمة ما لم تستيقظ الأمة كلها. لقد سقطت غرناطة بسبب الخلافات الداخلية والتعصبات والصراعات على السلطة وضعف الحكام واليوم، إذا بقيت الأمة منقسمة باسم اللغة والقومية والسياسة والجماعات، فلن يبقى ألم غزة محصورًا داخل حدودها، بل ستصل نيران هذا الصراع إلى أبواب الأمة كلها.

غزة مرآة الأمة:

غزة اليوم مرآة للأمة. وعلى كل واحد أن يرى نفسه فيها. فمن لا ينصر المظلومين، ومن يحصر ألم الأمة في عناوين الأخبار، ومن اعتاد رؤية دماء المسلمين، عليه أن يتذكر المشهد الأخير من غرناطة؛ ذلك اليوم الذي بكى فيه آخر ملوكها على مملكته الضائعة، لكن بكاءه جاء بعد فوات الأوان. على الأمة أن تدرك أن التاريخ لا يُقرأ لمجرد القراءة، وإنما لاستخلاص العبر.

فإذا لم نتعلم من سقوط غرناطة، ولم نتعظ من مقاومة غزة، ولم نضع خلافاتنا جانبًا في مواجهة عدو موحد، فإن الجيل القادم سيكرر عنا العبارة نفسها: «ابكوا على الأمة التي لم تتخذوا موقف الرجال من أجل الحفاظ عليها.»

ثأر دم عز الدين حداد ومسؤولية العالم الإسلامي

سيف أجمل

لطالما كُتبت صفحات التاريخ بدماء الأبطال الذين قدموا أرواحهم دفاعًا عن أوطانهم وعقيدتهم وكرامتهم. وفي أرضٍ فلسطين، تشكل شهادات أبطال القيادة العسكرية لحركة حماس فصلًا حيًا من هذا التاريخ. ومن القادة إلى أصغر المقاتلين، لم يكن عز الدين حداد، تقبله الله، قائد الدفاع ومخططه في شمال غزة، أول قائد يستشهد؛ فقد سبقه عدد من رفاقه الذين ارتقوا تباعًا إلى مقام الشهادة. لقد قدم هؤلاء الرجال تضحيات استثنائية ستظل مضيئة في تاريخ الأمة ونهنئهم من أعماق القلب بالشهادة؛ فقد أثبتوا للعالم بثباتهم أن العقيدة والإرادة أقوى من أي قوة مادية. وكل قطرة من دمائهم الطاهرة هي شمس تشرق على فجر الحرية، وستبقى ذكراهم مشعلًا للمقاومة في أيدي الأجيال القادمة.

وفي مواجهة هؤلاء الأبطال في ميدان القتال، أدت هزيمة النظام الصهيوني المحتل والمعتدي إلى لجوئه إلى القصف العشوائي للمدنيين الأبرياء والنساء والأطفال في غزة. وقد ضرب هذا النظام عرض الحائط بكل القواعد الدولية والإنسانية للحرب. أما استهداف المستشفيات والمدارس والمساجد ومخيمات اللاجئين، فهو شاهد واضح على حجم وحشيته وهزيمته.

هذه ليست حربًا فحسب، بل إبادة جماعية ممنهجة ستبقى وصمة عار في جبين التاريخ. ونحن ندين بأشد العبارات هذه الهجمات الوحشية التي تتنافى مع كل القيم الإنسانية.

لكن المأساة الأكبر هي أن غالبية حكام وشعوب العالم الإسلامي يقفون أمام هذا الرعب في حالة من الصمت القائم على حسابات المصلحة والضعف، وهي حالة تدعو إلى الخجل. وإن ثأر دم عز الدين حداد، تقبله الله، مسؤولية لا يجوز للأمة الإسلامية أن تنساها.

فهناك اليوم أكثر من مليار ونصف المليار مسلم يعيشون في مختلف أنحاء العالم، ومع ذلك ما زالوا أسرى العجز والضعف والمهانة.

والسبب الرئيسي هو أن المسلمين ما زالوا غارقين في خلافات قومية وعرقية ولغوية ومذهبية لا طائل منها. لقد نسوا أن الأمة جسد واحد. وبدل أن يوحدوا طاقاتهم في مواجهة أعدائهم المشتركين والدفاع عن مقدساتهم، يستنزفونها في

صراعاتهم الداخلية.
وهـذه هـي أكبـر نقطـة ضعـف فـي الأمـة، وقـد استُغلت علـى مـر التاريـخ لإضعـاف الدول والحكومات الإسلامية وإسقاطها.

أفغانستان وبصيص الأمل:

فـي هـذه الظـروف القاتمـة والمحبطـة، يمثـل قـادة إمـارة أفغانسـتان الإسلاميـة، بارقـة أمـل للأمـة الإسلاميـة ومظهـرًا للتضامـن العميـق مـع المسـلمين المظلومين. فالإمـارة الإسلاميـة لـم تكتـف، بإعلان دعمها للمسـلمين المظلومين، بـل أثبتت عمليًـا اسـتعدادها لتقديـم الدعـم المالـي والبشـري دفاعًـا عـن إخوانهـا، رغـم الضغـوط التـي تمارسـها القـوى الكبـرى فـي العالـم ومـن خلال مـا يتمتـع بـه قـادة الإمـارة الإسلاميـة مـن حسـابات سياسـية خاصـة، وحكمـة قويـة، وتدبيـر عملـي، يمكنهم قيادة سفينة الأمة الإسلامية التي تتقاذفها الأمواج نحو بر الأمان.
وتقوم رؤيتهم على مجموعة من المبادئ:

- تجاوز الخلافات الداخلية والتركيز على وحدة المسلمين.
- الابتعـاد عـن الانفعـال، واتخـاذ خطـوات منظمـة وحكيمـة تنسـجم مـع واقـع المنطقة والعالم.
- استعادة الاستقلال السياسي والعسكري للأمة.
- اعتمـاد الحكمـة القائمـة علـى المصلحـة باعتبارهـا الطريـق إلـى الـخلاص الحقيقي واستعادة الأمة لمكانتها وكرامتها على المستوى الدولي.

إن الأمـة، فـي ظـل هـذه الرؤيـة، لا تسـتطيع اسـتعادة قوتهـا ومكانتهـا مـا لـم تتجـاوز خلافاتهـا الداخليـة، وتعيـد بنـاء وحدتهـا، وتسـتعيد قدرتهـا علـى اتخـاذ القـرار المستقل.

وحدة الجهل والاستكبار؛ من طهران إلى كنر، استراتيجية مشتركة لـ«قتل العلم»

سيف الدين

عندما تقصف الطائرات العسكرية التابعة لنظام متوحش منازل المدنيين والجدران المقدسة للمؤسسات التي يتلقى فيها الطلاب دروسهم العلمية، فإن ذلك لا يُعدّ مجرد خطأ عسكري؛ بل هو جزء من المشروع الصهيوني الذي يسعى إلى شلّ عقول شعوب الشرق الأوسط الواعية بالبارود. إن الهجمات الأخيرة التي شنّها النظام الباكستاني على كنر، والتي أغرقت جامعة سيد جمال الدين الأفغاني والقرى المأهولة في سركانو بالدماء، ليست في حقيقتها سوى صورة منعكسة في تلك «المرآة الوحشية» التي تستخدمها إسرائيل والولايات المتحدة في المنطقة.

إن هذا القصف نسخة مطابقة للجرائم التي استهدفت، قبل مدة، مركزًا تعليميًا للطلاب في قلب إيران، طهران. كان الهدف هناك هو «العلم»، وهو الهدف هنا أيضًا. وتكشف هذه الأعمال الاستفزازية أن النظام الذي يقتل الطلاب الأفغان مجبول من الطينة نفسها التي جُبل منها المحتلون الذين استهدفوا الجامعات والمكتبات في لبنان وطهران، بهدف إبقاء الأجيال المقبلة في ظلمات الذل. إن الهجوم على جامعة كنر امتداد للحرب الفكرية التي تسعى إلى إبعاد الشباب الأفغاني عن الكتاب وإبقائه غارقًا في الحروب.

إن استهداف قرية كاملة في سركانو يثبت أن منطق المعتدي قائم على «القتل العشوائي». وهذا هو الرعب نفسه الذي تمارسه إسرائيل اليوم في لبنان، حيث تحوّلت منازل المدنيين إلى ميادين لتدريبات الطائرات الحربية. وعندما يستخدم نظامٌ ما التكتيكات الصهيونية ضد من يشاركونه اللغة وضد جيرانه، فإن ذلك يكشف بوضوح أن «عمقه الاستراتيجي» لم يعد يعني سوى قتل البشر وتدمير المناطق السكنية.

إن النظام الذي يقصف مساكن الطلبة وقاعات التدريس في الجامعة يعترف في الحقيقة بهزيمته أمام فلسفة سيد جمال الدين الأفغاني، الذي رفع نداء وحدة العالم الإسلامي ونهضته. فهذه الهجمات ليست اعتداءً على الأرض فحسب، بل هي اعتداء على الحضارة المشتركة التي كان العلم والمعرفة ضمانًا لبقائها.

لقد أثبت التاريخ أن مصابيح العلم لا تنطفئ وسط دخان البارود. فإذا كانت

الولايات المتحدة تستهدف الجامعات في طهران، وإسرائيل في بيروت، والنظام الباكستاني المعتدي في كنر، فإن ذلك دليل على «إفلاسهم الفكري».
وكل جدار مدمّر في جامعة كنر سيصبح أساسًا لصحوة تقرع طبول زوال النظام المعتدي.
إن الجامعة مركز لبقاء الإنسانية، والاعتداء عليها هو في حقيقته تحدّ للقيم الإنسانية. وستواصل أقلامنا مسيرة النضال التاريخي من أجل العدالة والنّور في مواجهة الحرب وعمليات القصف الوحشية. وتمثّل كنر جميع المراكز التعليمية في العالم التي أصبحت هدفًا لهجمات القوى الاستعمارية.

الشعب الباكستاني الغيور في أسر النظام العسكري الطاغوتي !

ذو الكفل ذكي

لقد امتدّت جذور الحكم الإسلامي للهند، الذي دام ثمانية قرون، عميقًا في القلوب. وحتى بعد الاحتلال البريطاني وانحطاط المسلمين، ظلّت أصوات الأذان ترتفع في هذه الأرض من المآذن الشامخة. وقد تعاقبت فيها أجيال المسلمين جيلًا بعد جيل، وكانت هذه الجماهير المؤمنة نفسها في طليعة مقاومة الاستعمار البريطاني والنضال من أجل نيل الاستقلال.

إن قصة تأسيس باكستان لم تكن مجرد حدث سياسي أو انفصال جغرافي، بل كانت موجة عميقة من الإيمان والفكر والهوية، نهضت في قلوب الشعوب المسلمة. وقد استلهمت هذه الفكرة المقدسة روحها من القيم الإسلامية، والترابط العقائدي، وتصور وحدة الأمة. فعندما كان مسلمو شبه القارة الهندية يقفون على أعتاب تقسيم الهند البريطانية، لم يكونوا يسعون إلى مجرد الانفصال ضمن رقعة جغرافية محدودة، بل كانوا يتطلعون إلى دولة تُنظم فيها الحياة على أساس مبادئ الإسلام المقدسة، ويكون الإسلام حاكمًا فيها، ويعيشون في ظل «لا إله إلا الله» حياةً يسودها الأمن والأمان.

وكانت القوة الأساسية لهذا الحراك هي الشعب المسلم الأبيّ. فهذا الشعب، الذي استيقظ على نور العقيدة، قدّم تضحيات لا تُحصى من أجل الحفاظ على هويته الإسلامية. وكان يؤمن بأن الإسلام ليس دينًا فحسب، بل هو نظام متكامل يشمل السياسة والاقتصاد وجميع جوانب الحياة. وفي جغرافية شبه القارة التي تحررت حديثًا من الاحتلال الاستعماري البريطاني، كان من الحق المشروع للمسلمين، استنادًا إلى دينهم وثقافتهم وتاريخهم، أن يكون لهم نظام مستقل يحكمه الإسلام ويعيشون في ظل جغرافية إسلامية.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف، بدأ علماء الدين والقادة الفكريون وعامة الشعب نضالًا مشتركًا. واستلهموا توجيهات القرآن والسنة، وحوّلوا حلم إقامة مجتمع إسلامي قائم على العدل والأخوّة إلى حقيقة. ولم تكن جذور تأسيس باكستان كامنة في السياسة وحدها، بل كانت متجذرة في الفكر الإسلامي، ووعي الأمة، والتطلع إلى إقامة نظام إسلامي مستقل. إنها قصة غيّر فيها الإيمان مجرى التاريخ، وأنجب فيها الشعب وطنًا جديدًا حفاظًا على دينه.

لكـن كل شـيء جـاء مخالفًا للتوقعـات والتصـورات؛ فهـذه الجغرافيـة التـي تأسسـت تحت شـعار ترسـيخ الإسـلام والشـريعة الإسـلامية وقعـت مـرة أخـرى فـي قبضـة الغـرب. وبـدلًا مـن الشـريعة الإسـلامية، سـادت القوانيـن والديمقراطيـة اللتـان صاغهمـا الغرب، وفرضت العلمانية والجمهورية على الشعوب بالقوة.

ووصلت إلى السلطة حلقة أثبتت أنها أشد التزامًا بالمصالح الغربية من الغربيين أنفسهم. ومنذ اليوم الذي أمسك فيه هذا النظام العسكري بزمام السلطة، بدأ عداءه للإسلام والأمة وشعبه، وأخذ ينفذ مشاريع الغرب والولايات المتحدة، ويبيع شعبه وقيمه مقابل امتيازات مادية زهيدة.

وقد أثارت سياساته التمييزية خلافات عميقة بين القوميات والشعوب، حتى أصبح المسلم يرى أخاه المسلم عدوًا له. فبينما يُحرم أبناء قوم من أبسط ضرورات الحياة، يتمتع أبناء قوم آخر بحياة متقدمة. ومنذ وصول هذه الحلقة إلى السلطة، أثقلت الضرائب المرتفعة والديون كاهل الشعب وعرّضته لمشكلات قاسية، في حين يمتلك هؤلاء الحكام طائرات خاصة.

يا شعب باكستان الأبيّ !

إنه الجيش نفسه وهؤلاء الطواغيت أنفسهم الذين باعوا بالغدر والخداع للولايات المتحدة والغرب مئات من إخوانكم المجاهدين العرب، الذين قدموا لمساعدة إخوانهم المسلمين، وأسهموا بنصر الله في تفكيك إمبراطورية الاتحاد السوفيتي. وهم الحكام أنفسهم الذين باعوا، إرضاءً لأسيادهم، شخصيةً معروفةً في الأمة، الشيخ أسامة رحمه الله، الذي أعاد إحياء فكرة الجهاد، بعدما ضاقت به الأرض ولجأ إلى بلادكم.

وقد وضع هذا الجيش مجاله الجوي وأرضه وبحره تحت تصرف القوات الدولية في حربها على أفغانستان، وأديرت الحروب انطلاقًا من هذه الأراضي. كذلك لا تزال امرأة مسلمة، الدكتورة عافية صديقي، في السجن منذ سنوات، وظلت قضيتها موضع نقاش مستمر من منظور حقوق الإنسان. كما أخفى هذا النظام آلاف الشباب قسرًا تحت ذريعة الإرهاب، وهجّر مئات الآلاف من الأسر، وترك الأمهات والزوجات ينتظرن عودة أحبائهن.

أيها الشعب المؤمن الأبيّ !

لقد حان الوقت للتفكير في واقعكم، واتخاذ خطوات سلمية وواعية من أجل العدالة والوحدة والإصلاح، والعمل عبر الوسائل القانونية والمشروعة لنيل حقوقكم.

أيها الإخوة المسلمون ! لقد خُلق الإنسان ليعيش بعزة وكرامة وعدالة، لا ليحيا تحت ظلال الظلم. إن ضميركم وإيمانكم وفطرتكم تدعوكم إلى معرفة الحق، والمطالبة بالعدالة، وصون قيمتكم الإنسانية. ومن يسلك طريق الحق، فعلى الرغم من صعوبته، فإن نهايته النصر والعزة والرفعة.

قتل الأبرياء في نظر الإسلام

مولوي عبد الجبار

قبل مجيء الإسلام، وفي عصر الجاهلية، كان حال العرب يواجه أنواعاً مختلفة من التحديات والمشكلات الكبرى؛ إذ كانوا لا يدركون قيمة الكرامة الإنسانية، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبيّن لهم أن الإسلام دين الرحمة والعدل والكرامة الإنسانية. وقد منح الإسلام حياة الإنسان مكانة عظيمة، حتى إن قتل إنسان واحد بغير حق عُدّ فعلاً مماثلاً لقتل البشرية جمعاء. ولذلك فإن قتل الأبرياء وعامة الناس ليس مجرد جريمة أخلاقية كبرى، بل يُعدّ شرعاً أيضاً من أعظم الذنوب.

وفي هذا السياق، نورد عدداً من نصوص القرآن الكريم، لبيان قيمة حياة الإنسان، وإدراك أن القرآن قد بيّن صراحةً حرمة قتل الإنسان بغير حق:

1 قال الله تعالى: {مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} [المائدة: 32]

توضح هذه الآية أن قتل إنسان بريء جريمة عظيمة إلى درجة أنه عُدّ بمثابة قتل البشرية جمعاء؛ لأن القتل بغير حق يترتب عليه كثير من الأضرار الدنيوية والأخروية، وله عواقب بالغة السوء، حتى إن القاتل نفسه كثيراً ما يندم ويتحسر بعد ارتكاب هذا الفعل. كما أن سفك الدماء بغير حق يشجع آخرين على ارتكاب الجريمة، ولذلك فإن كل من يقتل إنساناً فكأنما يضع أساساً لانعدام الأمن، ويفتح باب قتل الناس جميعاً وانتشار الفوضى العامة.

2 وفي بيان العقوبة الشديدة لمن يرتكبون قتل الأبرياء بغير حق، قال الله تعالى:

{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}

[النساء: 93]

تبين هذه الآية العذاب الأخروي الشديد المترتب على القتل العمد، وهو ما يدل على خطورة هذا الفعل وجسامة عاقبته. فإذا قتل مسلمٌ مسلماً آخر عمداً وقصداً، مع علمه وإدراكه بأنه مسلم، كما يفعل النظام العسكري الباكستاني المعتدي والدموي حين يقتل مواطنينا الأبرياء عمداً وإرادةً، فإن مثل هؤلاء ينتظرهم في الآخرة جهنم واللعن والعذاب العظيم، ولا ينجون حتى

بمجرد أداء الكفارة.

فائدة: ويشارك هذا الجيش المعتدي في هذه العقوبة أيضاً أولئك الذين يصدرون الفتاوى لهذا الجيش الدموي بقتل المسلمين، أو يصفون عمليات القتل غير المشروعة بأنها جهاد وثواب.

3 وقد نهى الله تعالى عن القتل بغير حق والظلم والعدوان، فقال: {أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [سورة هود: 18]

توضح هذه الآية أن قتل الأبرياء ظلم صريح، وأن الإسلام يرفض الظلم رفضاً قاطعاً، ويصف الظالم بأنه إنسان ملعون.

وقد وردت في الأحاديث النبوية أيضاً نصوص تبيّن حرمة قتل الإنسان البريء، ولا سيما المسلم المظلوم، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته عن مثل هذه الأعمال.

4 رُوي في صحيح البخاري وصحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا يَحِلُّ دَمُ امرئٍ مُسلم يَشهَدُ أنْ لا إلَهَ إلّا اللّه وأنّي رَسولُ اللّه، إلّا بإحدى ثَلاث: النّفسُ بالنّفس، والثّيِّبُ الزّانِي، والمارِقُ مِنَ الدّين التّارِكُ للجَماعة).

راوي هذا الحديث هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وقد رواه البخاري برقم 6878، ومسلم الشريف برقم 1676، وقال المحدثون إنه حديث صحيح. ويثبت هذا الحديث أن قتل الإنسان في الحالة العادية، خارج هذه الحالات الثلاث، حرام مطلقاً.

5 وكذلك، بالنظر إلى قواعد الحرب، فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء القتال بعدم قتل النساء والأطفال والشيوخ.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كان رسولُ اللّه صلّى اللّهُ عليه وسلّم إذا بعَث سَريّةً قال اغزُوا بسم اللّه وفي سبيل اللّه فقاتلوا مَن كفَر باللّه لا تغُلّوا ولا تغدروا ولا تُمثّلوا ولا تَقتُلوا وَليدًا ولا امرأةً ولا شيخًا). راوي هذا الحديث هو عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

وقد رواه الإمام الطبراني في المعجم الأوسط 268/4، والإمام أحمد في مسنده برقم 2728. ويبيّن هذا الحديث أن عامة الناس والأبرياء يظلون محميين حتى في حالة الحرب.

6 كما ورد في الأحاديث أن أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة هو أمر الدماء.

1. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أولُ ما يحاسبُ عليه العبدُ الصلاةَ، وإنّ أولَ ما يُقضَى بين الناس في الدماء).

راوي هذا الحديث هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وقد رُوي في صحيح البخاري برقم 6864، وفي صحيح مسلم برقم 1678، وقال المحدثون إنه حديث

صحيح لغيره، كما رواه الإمام النسائي برقم 3991. وهذا الحديث أيضاً يوضح عظم جريمة قتل الأبرياء وخطورتها. وقد نُقل عن السلف، أي العلماء الصالحين المتقدمين، تحريم قتل الأبرياء بصراحة وتواتر.

2. قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:
قال ابن عمر رضي الله عنهما: "إن من ورطات الأمور التي لا مخرج من وقع نفسه فيها: سفك الدم الحرام بغير حله".
[رواه البخاري والحاكم] وهذا يثبت أن سفك دم إنسان بريء جريمة عظيمة إلى درجة أن من يقع فيها قد لا يجد سبيلاً للخروج منها، لما يترتب عليها من عقوبات دنيوية وأخروية عظيمة.

3. وكذلك ورد عن معاوية رضي الله عنه أنه قال:
عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركا أو قتل مؤمنا متعمدا". [رواه أبو داود وأحمد]

4. وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقي الله مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله". [رواه أحمد وابن ماجة]

5. وقال سفيان بن عيينة في معنى «شطر كلمة»:
"هو أن يقول: اقِت "أي أن يقول فقط: «اقـ...» ولا يتم كلمة «اقتُل» (أي: اقتل).
فانظر إلى عظم هذه الذنبة وثقلها، وإلى ضخامة هذه الجريمة التي تجعل مرتكبها يصبر على عذاب النار:
{يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [غافر: 52]
فائدة: يدخل في قول الإمام سفيان بن عيينة، على وجه الخصوص، أولئك المفتين الجهلة الذين يصدرون الفتاوى بقتل المسلمين الأبرياء، وينظرون إلى قتل المسلم البريء على أنه جهاد وثواب. وعليهم أن يدركوا أنهم معرضون لمثل هذه العقوبات.

6. وروى البراء بن عازب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:
"لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق". [رواه ابن ماجة بإسناد

حسـن، ورواه البيهقـي والأصبهانـي وزاد فيـه: "ولـو أن أهـل سـماواته وأهـل أرضـه اشـتركوا فـي دم مؤمـن لأدخلهـم اللّه النـار"] وقـد رواه الإمـام البيهقـي والإمـام الأصبهانـي أيضـاً، وجـاء فيـه بزيـادة: «ولـو أن أهـل سـماواته وأهـل أرضـه اشـتركوا في دم مؤمن لأدخلهم اللّه النار».

7. ونقـل الإمـام النـووي رحمـه اللّه الإجمـاع علـى حرمـة قتـل الأبريـاء، فقـال: وأمـا تحريـم قتـل النفـس المعصومـة فممـا انعقـد عليـه إجمـاع المسـلمين، وهـو مـن أعظم المحرمات. [شرح المسلم]

تُظهـر جميـع النصـوص السـابقة بوضـوح أن قتـل الإنسـان البـريء مـن أعظـم الذنـوب فـي الإسلام. بـل إن مجـرد المسـاعدة اليسـيرة أو الإشـارة إلـى ارتـكاب مثـل هـذا الفعل قد تكون سبباً في العذاب الشديد.

وبنـاءً علـى ذلـك، ينبغـي للجيـش الباكسـتاني المعتـدي وللعلمـاء الواقفيـن إلـى جانـب دعمـه أن يتعظـوا بهـذه النصـوص، وأن يدركـوا أن دم كـل إنسـان عظيـم الحرمـة ومصـون، وأنـه لا يحـق لأحـد أن يدعـم قتـلاً بغيـر حـق أو يمهـد الطريـق إليـه. كمـا ينبغـي للشـخصيات المؤثـرة أن تبـذل جهـوداً أكبـر لمنـع أولئـك المفتيـن الذيـن تسـببوا بفتاواهـم فـي سـفك دمـاء الأبريـاء باسـم الديـن، لأن هـذا الأمـر يحمـل وزراً عظيماً وحساباً شديداً أمام اللّه تعالى.

الفصل الخامس
كتابات سياسية

المعاهدة الدفاعية لمكة؛ حقيقة استراتيجية، وقوة ردع قائمة على الورق، وموازين متغيرة في المنطقة

أحمد شفق

عندما وقّع ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان، والرئيس التركي رجب طيب أردوغان، ورئيس الوزراء الباكستاني شهباز شريف، في قصر الصفا بمكة المكرمة، وثيقة « إتفاقية مكة للدفاع المشترك» ، وصف خبراء في السياسة الدولية هذه الإتفاقية بأنها تحالف جديد يشبه حلف (الناتو) في الشرق الأوسط. وأهم بنود هذه الإتفاقية وأكثرها إثارة للجدل، وهو المبدأ الذي ينص على الدفاع المشترك على غرار المادة الخامسة من حلف الناتو، جاء على النحو الآتي: «إذا تعرضت إحدى الدول الثلاث لهجوم، فسيُعتبر ذلك هجومًا على الدول الثلاث جميعًا.»

يبدو هذا التحالف، في ظاهره، ائتلافًا فولاذيًا من شأنه أن يغيّر موازين القوى في المنطقة بصورة كاملة؛ غير أننا عندما نتعمق في تحليل قطع الشطرنج القائمة على رقعة السياسة الدولية، نجد وراء هذه الإتفاقية التي تبدو براقة للوهلة الأولى، جملةً من الضرورات الاستراتيجية، والألعاب النفسية، والحقائق المريرة. ولفهم عمق هذه الإتفاقية، ينبغي قبل كل شيء النظر إلى التنافس التقليدي في المنطقة، أي العلاقات بين المملكة العربية السعودية وإيران. وعلى الرغم من تكرار القول، بلغة دبلوماسية، إن «هذا التحالف ليس موجّهًا ضد أي دولة بعينها» ، فإن الحقيقة هي أن المملكة العربية السعودية تواجه منذ فترة طويلة تهديدات أمنية جدية من الصواريخ الإيرانية والطائرات المسيّرة، ومن الجماعات الوكيلة لإيران في المنطقة، مثل الحوثيين في اليمن وبعض الميليشيات في العراق.

وهنا يبرز سؤال مهم: إذا كان هناك أصلًا اتفاق دفاعي قوي قائم بين باكستان والمملكة العربية السعودية، وبموجبه يتمركز آلاف الجنود الباكستانيين وأنظمة دفاعية مضادة للصواريخ على الأراضي السعودية، فلماذا اضطرت المملكة العربية السعودية إلى إدخال تركيا أيضًا في هذا التحالف الجديد؟

تكمن الإجابة عن هذا السؤال في القيود العسكرية والاقتصادية التي تواجهها

باكستان. وإذا تجاوزنا المصطلحات الدبلوماسية ونظرنا إلى الواقع، فإن باكستان لا تملك بمفردها القدرة على إنشاء قوة ردع متكاملة في مواجهة إيران. فعلى سبيل المثال، رغم أن باكستان دولة نووية، فإن برنامجها النووي أنشئ أساسًا لردع التهديد التقليدي الهندي. ولا تستطيع باكستان نقل أسلحتها النووية للدفاع عن دولة أخرى.

أما الطرف الثاني، أي باكستان، فيواجه حاليًا واحدة من أصعب الأزمات الاقتصادية في تاريخه، فضلًا عن عبء الديون الثقيلة، كما يواجه تحديات أمنية داخلية خطيرة، من بينها حركة طالبان باكستان (TTP) والحركات الانفصالية في بلوشستان. وعندما تكون دولة ما والحركات الانفصالية في بلوشستان. وعندما تكون دولة ما محتاجة هي نفسها إلى مساعدات دول الخليج لتوفير احتياجات ميزانيتها، ويكون بيتها الداخلي مثقلًا بالأزمات، فإن تهديدها العسكري بالتورط في حرب أخرى خارج حدودها لا يعود يحمل ذلك الوزن والتأثير اللذين كان يتمتع بهما سابقًا. وكانت إيران تدرك هذه الحقيقة جيدًا؛ ولذلك لم يعد المظلة الدفاعية التقليدية لباكستان توفر للمملكة العربية السعودية ذلك القدر من الطمأنينة النفسية الذي كانت تحتاج إليه.

ولسد هذه الفجوة الاستراتيجية، أُدخلت تركيا إلى هذه اللعبة. وكان الهدف من إشراك تركيا هو تعويض ضعف باكستان وتعزيز الاستراتيجية الدفاعية السعودية بصورة «مضاعفة». فتركيا تمتلك ثاني أكبر جيش في حلف الناتو، كما تمتلك طائرات مسيّرة متقدمة من بينها طائرات «بيرقدار». ولم تعد المملكة العربية السعودية تريد الاعتماد على الولايات المتحدة وحدها في ضمان أمنها في الشرق الأوسط؛ إذ كيف يمكن للمظلة الدفاعية الأمريكية أن توفر للسعودية الحماية الكافية في حال اندلاع حرب بين إيران والولايات المتحدة؟ لا سيما أن الوجود العسكري الأمريكي نفسه أصبح، من وجهة النظر الإيرانية، أحد أسباب الهجمات الإيرانية على المملكة العربية السعودية.
ومن ثم، أنشأت المملكة العربية السعودية، بالتعاون مع ما يُسمّى بالجيش الباكستاني المحترف والصناعة العسكرية التركية المتقدمة، كتلة مستقلة مزعومة. وهنا لا يتمثل دور تركيا في قصف إيران، بل في توفير درع قوي من التكنولوجيا العسكرية للمملكة العربية السعودية، بما يمكّنها من صد الهجمات الإيرانية.
لكن السؤال هو: هل ستثبت هذه الإتفاقية بالفعل أنها تحالف عسكري

حقيقي، أم أنها ستبقى مجرد نص جميل على الورق؟
لنفترض أن إيران هاجمت قواعد عسكرية أمريكية داخل المملكة العربية السعودية، ودفعت بأن هجومها لم يكن موجّهًا ضد السعودية، وإنما ضد الولايات المتحدة، باعتبارها عدوّها. فإذا أثّر هذا الهجوم، بصورة غير مباشرة، في سيادة المملكة العربية السعودية الوطنية، فهل سترد باكستان وتركيا عسكريًا ضد إيران؟ إن الإجابة الواقعية عن هذا السؤال هي: «أبدًا لا... !»
ذلك لأن فتح باكستان وتركيا جبهةً ضد إيران سيعرّض أمنهما، الذي ظل حتى الآن بعيدًا عن الخطر المباشر، للخطر أيضًا. وتمتلك إيران شبكة واسعة من الجماعات الوكيلة التي يمكنها استخدامها لإلحاق الضرر بتركيا وباكستان. فقد تستطيع إيران، ردًا على ذلك، تقديم أسلحة متطورة ودعم مالي للجماعات الانفصالية الكردية، مثل حزب العمال الكردستاني (PKK) ووحدات حماية الشعب (YPG)، ضد تركيا، وإطلاق موجة جديدة من الهجمات الإرهابية داخل تركيا، أو استهداف القوات التركية الموجودة في العراق وسوريا. كما يمكنها تفعيل شبكات انفصالية في إقليم بلوشستان الباكستاني، وإدخال باكستان في مشكلات شديدة التعقيد.
وبما أنه لا توجد بين باكستان وتركيا وبين إيران خصومة دينية أو سياسية من النوع القائم بين إيران والمملكة العربية السعودية، فإنهما لن تدفعا أبدًا ثمن الدخول في حرب مباشرة مع إيران. بل إن تركيا، حتى خلال الحرب بين الولايات المتحدة وإيران، تجنبت علنًا السماح باستخدام مجالها الجوي ضد إيران، وبذلك أثبتت موقفها المحايد.
ومن هنا يتضح أن هذه الإتفاقية، أكثر من كونها تحالفًا عسكريًا، تشبه إلى حد كبير «سلاحًا نفسيًا ودبلوماسيًا»؛ فهدفها الأساسي ليس خوض الحرب، وإنما إقامة كتلة ثقيلة وقوية في مواجهة إيران، بحيث تتراجع إيران عن أي مغامرة عسكرية كبيرة عندما ترى القوة الإجمالية لهذا التحالف. ويُعرف ذلك في المصطلحات الدفاعية باسم موازنة القوة أو «الموازنة المضادة» (COUNTERBALANCING).
والآن، إذا وقع، لا قدر الله، غدًا، هجوم إيراني على المملكة العربية السعودية، وامتنعت باكستان وتركيا، بسبب مخاوفهما الأمنية، عن قصف إيران، فإن النتيجة ستكون أن المصداقية الورقية لـ« الإتفاقية مكة» ستنهار في اللحظة نفسها. ومع ذلك، فإن باكستان وتركيا، حفاظًا على مصداقيتهما التعاقدية، لن ترغبا أيضًا في البقاء صامتتين. ويمكنهما، بدلًا من إلقاء القنابل على طهران، تزويد المملكة العربية السعودية بأنظمة دفاع مضادة للصواريخ،

وطائـرات مسـيّرة، ومعلومـات اسـتخباراتية، بحيـث تحافظـان مـن جهـة علـى المصداقيـة الظاهريـة للإتفاقيـة، ومـن جهـة أخـرى تتجنبـان خلـق عـداء مباشـر مـع إيران.

نعـم، هنـاك أمـر واحـد يبـدو واضحًـا، مـن الناحيـة الظاهريـة، بالنسـبة إلـى باكسـتان؛ وهـو أن إحـدى الركائـز المهمـة في السياسـة الدفاعيـة الباكسـتانية تقـوم علـى مبـدأ مفـاده: «إذا تعرضـت الحـدود الجغرافيـة للحرميـن الشـريفين لأي تهديـد مباشـر، فـإن الجيـش الباكسـتاني سـيضع جميـع الاعتبـارات والمصالـح جانبًا، ويدافع عنهما بكل وسيلة ممكنة.»

لكـن السـؤال هـو: في عالـم اليـوم، لمـاذا قـد تقـوم دولـة معاديـة للمملكـة العربيـة السـعودية بشـن هجـوم علـى الحرميـن الشـريفين، فتُلحـق الضـرر بسـمعتها الدوليـة، وتفتح على نفسها جبهات جديدة من الحرب؟

وهنا تكمن النقطة ذاتها...

المصلحة الاستراتيجية للجيش الباكستاني والفصل الدموي من التاريخ؛ من سبتمبر الأسود إلى العصر المعاصر

أكبر جمال

من الحقائق المرة في التاريخ السياسي أن الجرائم الأخلاقية كثيرًا ما تتحول، في قصور القوة ومراكز القرار، إلى أوسمة استراتيجية، وأن الفعل الذي كان ينبغي، وفقًا للقانون، أن يستوجب أشد العقوبات، يتحول على رقعة شطرنج المؤسسة العسكرية إلى سلّم للارتقاء إلى مراتب عليا.

وعندما نقلب صفحات الحرب الأهلية الدموية التي اندلعت على الأراضي الأردنية في سبتمبر/أيلول 1970، والمعروفة باسم «أيلول الأسود»، ونقارنها بالوضع الاستراتيجي لباكستان المعاصرة، فإننا نرى نمطًا غير مكتوب من الاستمرارية، يقوم على اعتبار قرارات الأشخاص فوق القانون تحت مسميات مثل «سيادة الدولة» و«الحفاظ على المؤسسة».

إنها ليست مجرد حادثة وقعت قبل خمسين عامًا، بل قصة ثقافة عسكرية محددة؛ ثقافة لا تزال تسير حتى اليوم في المسار ذاته.

تبدأ هذه القصة بحرب العرب وإسرائيل عام 1967؛ تلك الحرب التي تعرضت فيها جيوش مصر وسوريا والأردن لهزيمة قاسية أمام إسرائيل. ولم تكن تلك كارثة مفاجئة، بل كانت نتيجة طبيعية لعجز الحكام العرب الاستراتيجي، والإهمال الاستخباراتي، وانعدام الثقة المتبادلة، وغياب الاستعداد العسكري الكافي.وبنتيجة تلك الحرب، خرجت القدس والضفة الغربية من سيطرة المسلمين، وأصبح ملايين الفلسطينيين بلا مأوى في وطنهم، وبدأوا حياتهم في مخيمات اللاجئين. وقد ولّد ذلك الفشل التاريخي للحكومات العربية شعورًا لدى الفلسطينيين بأنهم إذا لم يحملوا السلاح بأنفسهم، فقد يُحرمون إلى الأبد من أرضهم وهويتهم. ومن رحم هذا اليأس، نشأت منظمة التحرير الفلسطينية (PLO) بقيادة ياسر عرفات، واتخذت من الأردن خط مواجهة متقدمًا ضد إسرائيل.

ومع مرور الوقت، وبسبب النشاطات المسلحة للفلسطينيين في الأردن، بدأت تتشكل قناعة بأن دولة أخرى تكاد تُقام إلى جانب الدولة الأردنية. وقيل إنهم لا يلتزمون كثيرًا بالقوانين الأردنية، وإن نشاطاتهم أصبحت تهدد السيادة الوطنية للأردن.

وفي أوائل سبتمبر/أيلول 1970، عندما اختطفت مجموعة تابعة للجبهة الشعبية

لتحرير فلسطين (PFLP) عدة طائرات ركاب دولية، وأنزلتها في الصحراء الأردنية ثم فجّرتها، نفد صبر الملك حسين ملك الأردن. فقد اعتبر الحادث تهديدًا مباشرًا لملكه وسلطته، وأصدر أمرًا بشن عمليات عسكرية واسعة وقاسية ضد الفلسطينيين؛ وهي العمليات التي اشتهرت لاحقًا في التاريخ باسم «أيلول الأسود». وفي خضم تلك المرحلة الدموية، ظهر في مركز الأحداث العميد إلباكستاني آنذاك، والرئيس الباكستاني لاحقًا، محمد ضياء الحق. كان قد أرسل إلى الأردن منذ عام 1967 ضمن بعثة عسكرية باكستانية رسمية لتدريب الجيش الأردني. وكان الهدف من هذه المهمة إعادة تنظيم الجيش الأردني بعد هزيمة عام 1967 وتدريبه على حرب العصابات. لكن عندما اندلعت الحرب الأهلية بين الجيش الأردني واللاجئين الفلسطينيين، يُقال إن ضياء الحق تجاوز حدود مهمته الرسمية، ولعب دورًا مباشرًا في الإدارة الاستراتيجية والعملياتية للقوات الأردنية. وتحت إشرافه، شُنّت عمليات عسكرية وقصف شديد على المخيمات الفلسطينية.

وبحسب ادعاء ياسر عرفات، قُتل في هذه العمليات ما بين عشرة آلاف (10,000) وخمسة وعشرين ألفًا (25,000) فلسطيني.

وبعد انتهاء العمليات، وعندما عاد ضياء الحق إلى باكستان، أوصى قائد الجيش آنذاك، الجنرال غُل حسن، بمحاكمته عسكريًا (كورْت مارشال)، لأنه شارك دون إذن حكومته في حرب أهلية داخل دولة أخرى. لكن التاريخ اتخذ هنا مسارًا آخر.

فالشخص الذي كان ينبغي، وفقًا للقانون، أن يُعاقب، تحول، بفضل التوصية الشخصية لملك الأردن والمصالح الاستراتيجية للمؤسسة العسكرية الباكستانية، إلى شخصية عسكرية ذات قيمة كبيرة. أغلقت قضية المحاكمة، وأصبح هذا «الخطأ الاستراتيجي» نفسه سلّمًا لصعوده السريع، حتى إن رئيس الوزراء الباكستاني ذو الفقار علي بوتو، عام 1976، تجاوز سبعة جنرالات أقدم منه وعيّن ضياء الحق قائدًا للجيش؛ وهو القرار الذي اعتُبر لاحقًا أكبر خطأ ارتكبه بوتو في حياته السياسية. وكان إيقاف محاكمة ضياء الحق العسكرية بمثابة الحجر الأول في ذلك المبدأ غير المكتوب داخل الجيش الباكستاني، والذي تحول لاحقًا إلى ثقافة مؤسسية مستمرة داخل المؤسسة العسكرية. وبموجب هذه الثقافة، ما دام الضابط العسكري رفيع المستوى باقيًا ضمن منظومة قيادة الجيش، فإن أخطاءه الاستراتيجية أو إخفاقاته أو تناقضاته في السياسات لا تخضع عادةً للمساءلة العلنية، بل تُغلق ملفاتها تحت مسمى «ضرورات المرحلة».

ومـن الأمثلـة المعاصـرة علـى هـذا التناقـض بيـن الثقافـة الاسـتراتيجية والسياسـات، مـا يمكـن ملاحظتـه بيـن السياسـات الأمنيـة للجنـرال المتقاعـد فيـض حميـد والسياسـات التـي ينتهجهـا قائـد الجيـش الحالـي الجنـرال عاصـم منيـر. ففـي مرحلـة مـن المراحـل، عندمـا كان فيـض حميـد رئيسًـا للاسـتخبارات وقائـدًا لفيلـق بيشـاور، اتبـع سياسـة التفـاوض والمصالحـة مـع حركـة طالبـان باكسـتان (TTP)، بالتعـاون مـع حكومـة كابـل آنـذاك، وقـد أفضـت هـذه العمليـة إلـى إطلاق سـراح سـجناء وإعادة توطين عدد من المسلحين.

لكـن بعـد تغيـر قيـادة الجيـش، اعتُبـرت السياسـة نفسـها، فـي ظـل قيـادة عاصـم منيـر، أحـد أسـباب انعـدام الأمـن فـي البـلاد وتصاعـد الإرهـاب. ويـرى بعـض المحلليـن أن سياسـة المواجهـة العسـكرية بـدلًا مـن الحـوار، فـي عهـد عاصـم منيـر، يمكـن تفسـيرها مـن منظـور الحفـاظ علـى مـا يسـمونه «اقتصـاد الحـرب» التقليـدي للجيـش؛ إذ يـرون أن اسـتمرار سياسـة فيـض حميـد وعمـران خـان كان مـن الممكـن أن يؤثـر فـي هـذا الهيـكل. وبنـاءً علـى هـذا التحليـل، اختـارت المؤسسـة العسـكرية، بـدلًا من المفاوضات، طريق عدم التسامح والمواجهة العسكرية.

ومـع ذلـك، لـم تعتبـر القيـادة العسـكرية نفسـها قـط ملزمـة بالمحاسـبة العامـة بشـأن هـذه التحـولات والتناقضـات الاسـتراتيجية. وفـي السـياق نفسـه، عندمـا اتُّخذت إجـراءات انضباطيـة بحـق فيـض حميـد بموجـب القانـون العسـكري، لـم تكـن بسـبب مفاوضاتـه مـع حركـة طالبـان باكسـتان، وإنمـا اسـتنادًا إلـى اتهامـات بإسـاءة اسـتخدام السـلطة فـي قضيـة مشـروع بنـاء المنـازل الخـاص المعـروف باسـم «تـوب سـيتي»، وبالمشـاركة فـي أنشـطة سياسـية بعـد تقاعـده. ويكشـف هـذا التناقـض العملـي فـي تعامـل الجيـش الباكسـتاني مـع المسـاءلة أن المحاسـبة تبـدأ عندمـا يتجـاوز الضابـط الخطـوط التـي ترسـمها المنظومـة الداخليـة للجيـش، أو مصالح المؤسسة الأساسية، أو النهج الذي تحدده القيادة.

لكـن مـا دام الضابـط العسـكري لا يتجـاوز الإطـار العـام للنفـوذ السياسـي للجيـش، واقتصـاد الحـرب، والسـيطرة علـى البرلمـان، والمصالـح الاسـتراتيجية للدولـة، فـإن أخطـاءه الكبـرى تظـل، إلـى حـد بعيـد، مسـتترة تحـت ظـل المصلحـة والضـرورات. بـل لقـد نشـأ فـي الوقـت الراهـن وضـع يمكـن فيـه لبعـض الأفعـال أن تحصـل عمليًـا أو قانونيًـا علـى نـوع مـن الحصانـة. ومـن هنـا، فـإن التاريـخ، بـدءًا مـن أحـداث «أيلـول الأسـود» عـام 1970 ووصـولًا إلـى القـرارات الاسـتراتيجية لباكسـتان المعاصـرة، يقـدم لنـا هـذا الـدرس: عندمـا تجعـل الـدول والمؤسسـات الحاكمـة مـن الحصانـة المؤسسـية مبـدأ لهـا بـدلًا مـن المسـاءلة العامـة والشـفافية، فـإن الخـط الفاصـل بيـن الحق والباطل يبدأ بالتلاشي تدريجيًا.

فما يكون، من وجهة نظر المواطن العادي أو اللاجئ الفلسطيني، صراعًا من أجل الحياة والحقوق والبقاء، يُفسّر في الرواية الرسمية للمؤسسة العسكرية على أنه «تمرد على الدولة» أو «فتنة داخلية»، ويُقمع بالقوة.

وإذا اقتضت الحاجة، يمكن أيضًا استدعاء علماء دين من الموالين للسلطة، واستخدام فتاوى ذات توصيفات دينية مثل «الخوارج» وغيرها، وربما لم تكن هذه الفكرة قد خطرت آنذاك ببال ضياء الحق، وإلا فربما لم يقتصر الأمر على إعلان الفلسطينيين متمردين على الدولة الأردنية، بل ربما أعلنوا أيضًا «خوارج»، وقد تحافظ لعبة القوة هذه على الدول والمؤسسات في المدى القصير، لكنها تترك في محكمة التاريخ سؤالًا يظل حيًا دائمًا: إلى متى ستظل الانتصارات الاستراتيجية تُشترى بثمن دماء البشر العاديين، وتهجيرهم، ومعاناتهم؟

الجيش الذي يعادي المسلمين في جوهره !

سيد جمال الدين الأفغاني

تعـود هـذه القصـة إلـى مـا يقـارب ثمانيـة عقـود مـن الزمـن، حيـن كانـت الهنـد الموحدة قد قُسّمت حديثًا على يد القوات البريطانية إلى قسمين؛ سُمّي أحدهما الهنـد، والآخـر باكسـتان والبنغـال. وكان القـرار بشـأن المناطـق ذات الأغلبيـة المسلمة أن تُلحق بباكستان، وكانت كشـمير من بين تلك المناطق. لكن عندما تقدّم الطرفان لتسلّم الأجزاء المخصصة لكل منهما، وبدأت قضية ترسيم الحدود تُطرح للنقاش، رفض الجانب الهندي بصورة صريحة تسليم كشمير، وقال إنه لن يتنازل عنها لباكستان تحت أي ظرف.

استمر هذا التوتر قرابة عام كامل، وفي نهاية المطاف تقرر أن يتم حسم قضية كشمير بالقوة والسلاح، وأن تكون الحرب هي الفيصل الأخير. ولهذا السبب، أصدر محمد علي جناح، زعيم باكستان آنذاك، أمرًا إلى قائد الجيش الجنرال غرايسي بشن هجوم على كشمير، وتوجيه الجيش إلى الإسراع في خوض الحرب لتحديد مستقبل كشمير. إلا أن محمد علي جناح فوجئ كثيرًا عندما رفض الجنرال غرايسي الأمر علنًا، وقال إن الجيش لن يتوجه إلى جبهة كشمير بأي حال من الأحوال.

كان الجنرال غرايسي ضابطًا في الجيش البريطاني، وفي ذلك الوقت لم تكن لدى باكستان قيادة عسكرية مسلمة منظمة، ولذلك أُسندت قيادة الجيش إلى الضباط البريطانيين. وكان الجنرال غرايسي ثاني قائد يتولى قيادة الجيش الباكستاني ضمن هذه السلسلة.

والسؤال الآن: لماذا رفض الجنرال غرايسي تنفيذ أمر مؤسس باكستان وحاكمها الأقوى في ذلك الوقت؟

لا يزال الناس يقدمون إجابات مختلفة عن هذا السؤال، إلا أن خلاصة ما كتبه الجنرال غرايسي نفسه تتمثل في أنه كان يرى أن على باكستان، بدلًا من معاداة الهندوس في الهند، أن تزيد من عدائها لمسلمي أفغانستان. ولهذا حاول الجنرال غرايسي إقناع محمد علي جناح من خلال تقديم مجموعة من الحجج والمبررات. ولا يتضح على وجه الدقة ما إذا كان جناح قد اقتنع بهذا الطرح أم لا، لكنه كان بلا شك في موقف ضعيف ومضطر أمام الجيش.

تولى الجنرال غرايسي تدريب الجيش الباكستاني بصورة متواصلة لمدة ثلاث

سـنوات، وخلال هـذه الفتـرة الطويلـة بـذل أقصـى جهـده لغـرس الكراهيـة تجـاه مسـلمي أفغانسـتان فـي نفـوس الجنـود الباكسـتانيين، ونجـح إلـى حـد مـا فـي ذلـك، ثم تقاعد.

وكان الجيـش البريطانـي قـد خـرج للسـيطرة علـى العالـم، وحقـق انتصـارات فـي مناطـق كثيـرة، لكنـه تعـرض لهزائـم متتاليـة في أفغانسـتان، وواجـه إخفاقـات مذلـة. ويشـهد التاريـخ علـى أن القـوات البريطانيـة أبيـدت فـي بعـض المـرات إبـادة كاملـة، حتـى إنـه لـم يبـقَ نـاجٍ واحـد يسـتطيع تسـجيل روايـة شـاهد عيـان لمـا حدث.

ولهـذا فمـن الطبيعـي أن تكـون لـدى بريطانيـا العظمـى عـداوة عميقـة تجـاه أفغانسـتان. ومـن أجـل الانتقـام مـن أفغانسـتان بسـبب تلـك الهزائـم، وضعـت بريطانيـا خططًـا مختلفـة واتخـذت تدابيـر خطيـرة، وكل ذلـك واضـح فـي صفحـات التاريـخ. لكـن مـن بيـن تلـك الخطـط الخطيـرة، كانـت هنـاك خطـة حظيـت باهتمـام خـاص، وهـي إقنـاع الجيـش الباكسـتاني بـأن عدوكـم الأزلـي والدائـم ليـس الهنـد، وإنمـا مسـلمو أفغانسـتان؛ حتـى يظلـوا منخرطيـن باسـتمرار فـي الحـرب ضـد المسـلمين الأفغان، وحتى تصبح هذه العداوة جزءًا راسخًا من طبيعتهم.

إن التدريـب الـذي تلقـاه هـذا الجيـش علـى يـد الجنـرال غرايسـي، والطريقـة التـي غـرس بهـا فـي قلـوب أفـراده كراهيـة أعمـق للمسـلمين، حتـى مقارنـة بالكفـار والمشـركين، وبـذر فيهـا بـذور الحقـد والعـداء، لـم تظهـر آثارهـا علـى مسـلمي أفغانسـتان وحدهـم، بـل ظهـرت كذلـك وبصـورة شـديدة علـى المسـلمين المظلومين في باكستان نفسها.

فكشـمير لـم تتحـرر مـن الهنـدوس حتـى اليـوم، بينمـا تعرضـت ولايتـا قلات وسـوات، اللتـان كانتـا تحـت حكـم المسـلمين، لهجمـات قاسـية مـن هـذا الجيـش، رغـم أن محمـد علـي جنـاح كان قـد أبـرم اتفاقيـات مـع كلتيهمـا. لقـد داس الجيـش تلـك الاتفاقيـات تحـت أقدامـه، وقصـف بالطائـرات كل مـا كان علـى الأرض، وأبـاد كل من كان يطالب بحقه أو ينظر إلى هذا الجيش باعتباره جيشًا شقيقًا للمسلمين.

وقـد اسـتدرج أسـرة خـان قلات مـن الجبـال بعـد أن وعدهـا بالعفـو، لكـن عندمـا نـزل أفرادهـا مـن الجبـال، عوملـوا معاملـة جائـرة، وخلافًـا للوعـود التـي قُطعـت لهـم، قُتلـوا بوحشية لا يُعامل بها حتى الحيوان.

وبمـا أن العـداء للمسـلمين قـد أصبـح متجـذرًا فـي طبيعـة هـذا الجيـش وأساسـه، فإنـه أينمـا أتيحـت لـه الفرصـة فـي العالـم، لـم يتـردد فـي سـفك دمـاء المسـلمين. وكان يضـرب رقـاب المسـلمين بخناجـره الحـادة كمـا لـو أنـه لا يعـرف شـيئًا عـن الرحمـة أو

الشفقة.

أما أولئك المسلمون الفلسطينيون المظلومون، الذين كانوا ينظرون إلى هذا الجيش باعتباره واحدًا من أقوى جيوش العالم، فقد تقطعت أوصالهم على أيدي هذا الجيش كما تُقطّع الجزر والفجل. وحتى يومنا هذا، لا يزال كل فلسطيني يحمل في قلبه ذكرى هجمات هذا الجيش الغادرة، بل إن بعضهم يتذكرها بألم أشد من آلام ظلم اليهود.

وكان المئات والآلاف من المجاهدين المنخرطين في الحرب ضد روسيا، والمنتمين إلى العالم العربي، يؤمنون بأنه حتى لو عاداهم العالم كله، ولم تبقَ لهم أي مساعدة، فإن الجيش الباكستاني، باعتباره جيشًا إسلاميًا، سيحميهم على الأقل. وبناءً على هذا الأمل وهذه الثقة، ضحى هؤلاء المجاهدون بكل ما يملكون في سبيل هذا الجيش. وكانوا يبيعون ممتلكاتهم الموروثة عن آبائهم في بلدانهم واحدًا تلو الآخر، حتى يقووا هذا الجيش ويدعموه. وعندما دخلت الولايات المتحدة في عداوة مع العرب من دون مبرر، ووقف الطرفان في مواجهة بعضهما البعض، ظلت آمال هؤلاء المجاهدين معلقة مرة أخرى بالجيش الباكستاني.

لكنهم أصيبوا بصدمة شديدة وشعروا بالعجز عندما بدأ هذا الجيش، حتى قبل أن تطلب الولايات المتحدة منه ذلك، باستهداف الناس واحدًا تلو الآخر؛ فقتل بعضهم، وألقى القبض على آخرين وهم أحياء، ثم سلّمهم إلى الولايات المتحدة أحياء، ليقدم بذلك دليلًا واضحًا على عدائه للمسلمين.

إن العداء للمسلمين الذي كان متجذرًا في طبيعتهم في السابق أصبح الآن عادة متأصلة لديهم. سواء كانوا عربًا، أم فلسطينيين، أم بنغاليين وبورميين، أم أفغانًا، لم يسلم منهم أحد.

بل وصل الأمر بهم لاحقًا إلى توجيه فوهات مدافعهم نحو مواطنيهم المسلمين. فمن كراتشي إلى بيشاور، ومن كويته إلى إسلام آباد، كانوا يعتقلون إخوانهم المسلمين في كل مكان، ويسلمونهم إلى الولايات المتحدة تحت مسمى «المسلمين الحقيقيين». فمن جهة كانوا يحصلون على الدولارات من الولايات المتحدة، ومن جهة أخرى كانوا يكشفون عداوتهم الكامنة في قلوبهم.

وعندما ازداد عدد الأشخاص الذين سُلّموا إلى الولايات المتحدة، ورفضت الأخيرة قبول المزيد منهم، بدأ هذا الجيش باستهداف أبناء شعبه. فأغرقوا أهل بلوشستان في الدماء، وحاصرت القوات القرى والمناطق الريفية، ولم يسلم أحد من الهجمات الجوية، من الأطفال إلى الشيوخ. وفي جميع أنحاء إقليم خيبر بختونخوا، شنوا

مداهمات على المنازل، وفي كل مرة كانوا يكتبون فصلًا جديدًا من قصص الظلم والوحشية. وفي السند، ولا سيما في كراتشي، كانوا يعتقلون الناس بتهم مختلفة، مثل الانتماء إلى «القاعدة» أو «لشكر جهنكوي»، وأخفوا آلاف الأشخاص قسرًا، أو زجوا بهم خلف القضبان في سجون تحولت حياتهم فيها إلى جحيم.

وفي البنجاب، بدأت الشرطة عمليات قتل غامضة، وقُتل الآلاف من شباب الأمة المسلمة وشيوخها وأفراد مختلف فئات المجتمع، وأبيدوا على أيديها. فالجيش الذي جرى تدريبه على التعطش لدماء المسلمين، والذي أقيم أساسه على الحقد والعداء والكراهية تجاه المسلم، لا يزال حتى اليوم يسير في الطريق نفسه. غير أن المشكلة كانت أن هذا الجيش لم يجد منذ فترة طويلة ذريعة مناسبة.

وأخيرًا، عندما قرر اليهود، بالتعاون مع حليفهم الغربي الكبير، قمع المجاهدين الفلسطينيين، تحققت لهذا الجيش أمنيته القديمة. ففي البداية تقدم ليضع نفسه أمامهم، وليُظهر استعداده لسفك دماء المسلمين. لكن بما أن تنفيذ ذلك كان يحتاج إلى وقت، بدأوا يبحثون عن طريق آخر. وكان فقدان قاعدة باغرام الجوية بالنسبة إلى الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب، وكذلك قضية الأسلحة التي بقيت في أفغانستان، من الأمور المهمة بالنسبة إليه. ولهذا اختار ذلك الجيش، من تلقاء نفسه، طريق العداء تجاه المسلمين الأفغان، وبدأ بشن هجمات باتجاه عدد من المراكز العسكرية، حتى يعلن عن هدفه بوضوح.

لكن يبدو أن ذلك لم يكن ليشبع ما في قلوبهم، حتى اختاروا بعد ذلك توقيتًا حساسًا.

اختاروا شهر رمضان، ثم اختاروا في هذا الشهر أوقاتًا قريبة من ليلة القدر المباركة. بل إنهم اختاروا ليلة بعينها من بين تلك الليالي المباركة، وشنوا هجمات على كابل. وفي هذه الهجمات استُهدف أولئك الناس العاجزون الذين وجدوا، بعد معاناة طويلة، شيئًا من الأمل في الحياة، ولم تكن لهم عداوة مع أحد. وتشير التقارير إلى أن عددًا كبيرًا من الأشخاص تضرروا في هذه الأحداث، ووقعت خسائر في الأرواح وإصابات. وذلك لأن الجيش استخدم متفجرات حوّلت كل شيء إلى نار، والنار تلد الدم.

وهذه النار هي التي تجعل صورة العداء للمسلمين أكثر وضوحًا، وبها أيضًا تهدأ قلوب هذه القوة المعادية. ولهذا أقدموا على هذا العمل المرعب.

أما أولئك الذين يبدون استغرابًا شديدًا إزاء هذه الحادثة، فيُقال لهم إن بعض المحللين السياسيين الباكستانيين كشفوا، في السابع عشر من مارس/آذار، ومن منظور تاريخي، أن قرارًا مماثلًا كان قد اتُخذ قبل عقود، يقضي بإحراق

كابل وتسويتها بالأرض. أما ما حدث بعد ذلك، فلا يحتاج إلى مزيد من البيان. لكن لماذا ينسى هؤلاء أن القوة التي تحمل في طبيعتها العداء للمسلمين، والتي يقوم أساسها على رائحة دم المسلم، وتجري في عروقها روح الظلم، كيف يمكن أن تعرف الرحمة؟ كيف يمكن لقوة كهذه أن ترحم، وهي التي لم ترحم مظلومي فلسطين، ولا المسلمين العرب، ولم تعتبر دماء أهل بلوشستان دماءً مصونة، ولم تتحرك أمام القتل الظالم للبشتون والبنجابيين والسنديين؟

ذلك الجيش الذي وفر، طوال عشرين عامًا، قواعد للقوات الأجنبية من أجل استهداف المسلمين الأفغان، ونُفذت من خلال تلك الأراضي آلاف الهجمات، فهل من المستحيل عليه أن يستهدف في لحظة واحدة خمسمائة شخص؟ ألا أفدي بسداجتك؟

انتفاضات اليوم هي حصيلة حساب عقود القمع خلال السبعين عاماً الماضية !

سلامت علي خان

في يوم أمس، شهد عدد من مدن بلوشستان، وكذلك مركزها مدينة كويته، تطوراً مفاجئاً، حيث قام الانفصاليون البلوش، مع شروق الشمس، بالسيطرة على الطرق العامة في المناطق المذكورة، والمراكز الحكومية، وعدد من النقاط المهمة. وقد لحقت بالمنشآت الحكومية خسائر فادحة في أماكن مختلفة، ويقول سكان المنطقة إن المنطقة بأكملها أصبحت عملياً تحت سيطرة الانفصاليين البلوش.

وقد ظهر أحد قادة الانفصاليين البلوش، بشير زيب، على دراجة نارية برفقة عدد من المسلحين، ووجّه عبر رسالة مصورة دعوة إلى جميع أبناء بلوشستان للخروج والحصول على الحرية من النظام العسكري. وفي ظل هذا الوضع المتوتر، استغل كثير من الأشخاص الآخرين الفرصة، واستهدفوا الممتلكات العامة أيضاً، وآخر الأخبار تفيد بأن ثلاثة أو أربعة بنوك قد تعرضت للنهب والسلب بالكامل. ويرى محللو الأوضاع أن هذه هي المرة الأولى منذ فترة طويلة التي يدخل فيها الانفصاليون البلوش علناً إلى مدينة كبيرة مثل كويته، ويتخذون فيها ما يحلو لهم من خطوات بصورة علنية، بل إن المواطنين، بعيداً عن المسؤولين الحكوميين، لم يكتفوا بإدانة ذلك، وإنما أخذوا صوراً معهم تعبيراً عن فرحهم، وقاموا بنشرها بحماس.

وقبل ذلك، كان الانفصاليون البلوش ينفذون هجمات متفرقة، وكانت أنشطتهم تظهر في المناطق النائية البعيدة عن المدن المركزية، لكنهم نفذوا هذه المرة هجمات واسعة النطاق، ودخلت حركتهم مرحلة جديدة.

وفي رد فعل على هذه الهجمات الواسعة والهجومية، يقول المسؤولون الباكستانيون، كعادتهم، اليوم أيضاً إن مسلحين إرهابيين نفذوا هجمات وعرّضوا المواطنين الأبرياء للخطر، لكن كبار المحللين والمهتمين بعمق بقضية بلوشستان يرون أن كل هذه الأحداث جاءت نتيجة للظلم الذي يمارسه النظام الاستبدادي في باكستان.

وفي العام الميلادي الجاري، قال الشخصية السياسية البلوشية البارزة سردار اختر جان منغل في أحد تصريحاته إن الشباب البلوش لم يعودوا مستعدين للاستماع

إلى كلام زعمائهم، وإن علينا الآن أن ننضم إليهم في حركتهم وتعليقًا على تصريح سردار، قال قمر شيما، المدير التنفيذي والمحلل في معهد «صنوبر» في إسلام آباد، في مقابلة مع «صوت أمريكا»، إن تعاطف الزعماء مع الانفصاليين البلوش، وانضمام الشباب والأخوات إليهم، أمر مثير للدهشة، وأضاف، بحسب تعبيره، أن وراء ذلك ظلم المسؤولين الباكستانيين وانتهاك حقوق البلوش.

ويرى المؤرخون الذين يتناولون تاريخ الانفصالية البلوشية أن حالة التوتر بين البلوش والدولة الباكستانية متزامنة مع نشأة باكستان نفسها. فبالتزامن مع تأسيس باكستان، عارض خان قلات، زعيم دولة قلات في ذلك الوقت، الانضمام إلى باكستان، وأعلن أنه إذا استخدم الجانب الباكستاني القوة، فإنهم سيشنون انتفاضة مسلحة ضده. وكانت جميع المناطق البلوشية الممتدة من كويته إلى جوادر خاضعة لسيطرة خان قلات، وكانوا يديرون شؤون الحكم فيها وفقًا للشريعة الإسلامية.

وكانت هذه المنطقة، على المستوى الإقليمي، من الأماكن التي تولى فيها شؤون القضاء أحد تلاميذ أكبر جامعة إسلامية في آسيا، جامعة ديوبند، وهو العالم الكبير في ذلك الوقت الشيخ شمس الحق الأفغاني. إلا أن المسؤولين الباكستانيين تجاهلوا كل ذلك، واستخدموا القوة، ونفذوا القصف وأشكالًا أخرى من الظلم، وتمكنوا بهذه الطريقة من إخضاع المناطق البلوشية لسيطرتهم، وانتهت الانتفاضة المسلحة التي أعلنها خان قلات جزئيًا.

لكن عندما وقع الانقلاب العسكري في عهد أيوب خان، بدأ عدد من أقارب خان قلات انتفاضة مسلحة ضد ذلك الانقلاب. وكان نوروز خان يقود هذه الانتفاضة. وبعد عدة سنوات من النضال المستمر، اقترح أيوب خان أنه إذا استسلم نوروز خان وألقى سلاحه على الأرض، فسيتم العفو عنه. ولهذا الغرض، قدم أيوب خان عددًا كبيرًا من الزعماء كضامنين، ونتيجة لذلك نزل نوروز خان من الجبال واستسلم، لكن المسؤولين الباكستانيين غدروا، كعادتهم، وسرعان ما أعدموه هو وابنه شنقًا، وقتلوهما بوحشية خلافًا للوعود التي قطعوها.

وعلى الرغم من أن موجة الانفصال البلوشي انتهت ظاهريًا بقتل نوروز خان ظلمًا وبخلاف الوعود، فإن البلوش في مختلف أنحاء بلوشستان، شرقًا وغربًا، نهضوا مرة أخرى ضد الحكومة والجيش في عهد ذو الفقار علي بوتو، وذلك بعدما أطاح ذو الفقار علي بوتو بالحكومة التي تشكلت في بلوشستان بقيادة السياسيين البلوش، واعتقل جميع القادة السياسيين البلوش، ومن بينهم سردار عطاء الله منغل.

إضافة إلى ذلك، قصف بوتو منطقتي مري وجهلوان بشدة، واستخدم القوة والإرهاب لتحقيق أهدافه السياسية وإخضاع البلوش. ويقول الباحثون إن بوتو نفذ قصفًا وحشيًا للغاية، وقتل أعدادًا كبيرة من الرجال والأطفال الأبرياء والنساء.
وأدت ممارسات بوتو إلى انتشار موجة جديدة من الكراهية تجاه الدولة الباكستانية وحكامها في المناطق البلوشية عامة. ويقول المراقبون في المنطقة إنه رغم مرور نحو خمسين عامًا على قصف بوتو وعملياته العسكرية، فإن آثار القتل غير المشروع للمواطنين الأبرياء والدمار الشديد للمنازل لا تزال ظاهرة في المنطقة حتى اليوم.
وقد وفرت هذه الممارسات غير المشروعة للحكام الباكستانيين مرة أخرى أرضية للانفصاليين البلوش، وبدأت حركة مقاومة جديدة بقيادة بابو شير محمد مري وميرهزار خان. وكان بابو شير محمد، المعروف باسم «شير»، قد بدأ هجمات انتقامية واسعة النطاق، وأغلق مناطق مختلفة في وجه الحكام والمسؤولين الحكوميين، وألحق بهم خسائر كبيرة.
لكن عندما غزا السوفيات أفغانستان، وانتهت حكومة بوتو في باكستان، وقام الجنرال العسكري ضياء الحق بانقلاب وتولى السلطة، ظهرت مخاوف من أن يقدم السوفيات الأسلحة والذخائر إلى البلوش وأن يستخدموهم لتحقيق مصالحهم. ولذلك ذهب ضياء الحق إلى البلوش، وطبّق صيغة «انسوا الماضي كله»، ونجح من خلال تقديم العديد من الوعود في تهدئة البلوش من جديد.
تخلى البلوش عن الانتفاضة المسلحة واتجهوا إلى التفاعل السياسي، لكن هذه العملية تعثرت مرة أخرى عندما قتل الدكتاتور العسكري الباكستاني برويز مشرف أحد أبرز زعماء البلوش وشخصيات المنطقة البارزة، أكبر بُغتي، بطريقة بالغة الوحشية. ولم يكتف بذلك، بل ألقى خطابًا أمام شعبه واعتبر مقتل بُغتي إنجازًا كبيرًا له، واستخدم عبارات مهينة ومسيئة للغاية بحق الشعب البلوشي بأكمله. وعلى إثر ذلك، أعلن البلوش مرة أخرى انطلاق الحركة، وبدأوا عملياتهم في مناطق مختلفة، وها هم اليوم قد أعلنوا رسميًا أنهم سيطروا حتى على المركز.

ما الأسباب الكامنة وراء النزاع والتوتر بين البلوش والحكام الباكستانيين؟

في هذا الشأن، كتبت مؤسسة شبه حكومية أمريكية تُسمى «معهد لاينز» مقالًا تفصيليًا، سلطت فيه الضوء، إلى جانب تاريخ الانفصاليين البلوش، على الأسباب المذكورة. وترى المؤسسة أن القضية الكبرى للبلوش هي حقوقهم.
ويذكر المقال أن الذهب والغاز والكهرباء وجميع المعادن الأخرى التي تعتمد

عليها باكستان تُستخرج من بلوشستان، لكن حكام باكستان، للأسف، لا يوفرون للبلوش أي نوع من التسهيلات من هذه الموارد. فمواردهم تجعل حياة الآخرين جنة، بينما هم أنفسهم لم يتحرروا من الحياة العادية للفقر والعوز. أراضيهم قاحلة، ومنازلهم مدمرة، وغرفهم مظلمة، والمدن التي تزود بالغاز تعاني هي نفسها من البرد، وينصب تركيز السكان على جمع الحطب للتدفئة، ولذلك يضطرون إلى بذل كل جهد ممكن للحصول على حقوقهم.

لكن المراقبين على المستوى الدولي يرون أن القضية لا تتعلق بالحقوق وحدها. فمنذ بداية باكستان وحتى اليوم، حاول الحكام الباكستانيون قمع البلوش بكل أشكال الظلم، وإبعاد أبنائهم عن التعليم، وإبقائهم غارقين في الشكوك المتبادلة والصراعات القبلية، وإضعافهم من الناحية الصحية، وعدم السماح بظهور شخصيات قيادية بينهم تستطيع أن تتصدر المشهد وترفع صوتها للمطالبة بحقوقهم أو تدين المظالم التي يتعرضون لها.

ولهذا السبب قتل الحكام الباكستانيون أكبر بُغتي بالظلم والقمع، ولا يزال الشعب الباكستاني بأكمله حتى اليوم مندهشًا من هذه الجريمة، كما يدين جميع السياسيين والعلماء وأفراد مختلف الفئات جريمة قتل أكبر بُغتي.

وخلال السنوات العشرين الماضية، قام الحكام الباكستانيون بإخراج آلاف البلوش من منازلهم بوحشية شديدة، ولا يزال مصيرهم، حتى اليوم، مجهولًا، ولا يُعرف ما إذا كانوا أحياء أم أمواتًا. وللكشف عن مصيرهم، أضرب عدد كبير من البلوش، ومن بينهم ماما قدير، عن الطعام لأشهر، بل إن بعضهم استمر في الإضراب لسنوات، لكن لم يقتصر الأمر على عدم سماع أحد لصوتهم، بل تعرض هو ورفاقه للتعذيب.

ومد الحكام أيدي الظلم إلى مناطق أخرى أيضًا، وزادوا من قتل البلوش الأبرياء وتعذيبهم. وتم إخراج أعداد كبيرة من الناس من منازلهم، واختفوا من المشهد بطريقة وحشية وفي ظروف صحراوية. ولم يصدر أي أمر من محكمة بشأنهم، ولم يُعرضوا على أي جهة قضائية، ومع ذلك فإنهم مفقودون. ولا يريد أقاربهم سوى معرفة ما إذا كانوا أحياء أم أمواتًا.

وفي هذا الشأن، حصلوا أيضًا على أمر من المحكمة العليا الباكستانية، لكن أولئك الحكام الذين يعتبرون أنفسهم فراعنة مطلقين تجاهلوا ذلك، خلافًا لجميع مبادئ الإنسانية والإسلام والقواعد الدولية.

وخلال السنوات الأربع الماضية، رفعت فتاة شابة من المنطقة تُدعى ماه رنگ بلوش صوتها من أجل الأشخاص المفقودين، وطالبت بصورة قانونية بالسماح لها بتنظيم مظاهرة في إسلام آباد، لكن الحكام لم يسمحوا لهم بذلك، واعتقلوا

وأخفوا عددًا كبيرًا من رفاقها.
وعندما نهض عدد كبير جدًا من البلوش وانضموا إلى ماه رنگ بلوش، بدلًا من الاستماع إلى مطلب الحق، قام الحكام أيضًا بزج ماهرنغ المطالبة بحقوقها في السجون المظلمة، ولا يزال مصيرها مجهولًا حتى الآن.
ومع أن الحكام الباكستانيين ينسبون أعمال الانفصاليين البلوش مرة إلى أفغانستان، ومرة إلى إيران، ومرة إلى الهند، ويتبادلون الاتهامات بأنهم يزعزعون أمن باكستان، وقد وقعت في هذا السياق في العام الماضي أيضًا هجمات متبادلة بين باكستان وإيران، إلا أن الحقيقة من جهة أخرى هي أن الحكام الباكستانيين اضطهدوا البلوش خلال العقود السبعة الماضية، وقمعوهم بالقوة والظلم، وانتهكوا حقوقهم، وارتكبوا بحقهم انتهاكات مخالفة للإسلام والإنسانية والقواعد الدولية. لقد حاول الحكام دائمًا إسكات صوت البلوش باستخدام القوة، لكن هذا جزء من تسلسل التاريخ: فصوت الحق لا يختفي بالضغط والقمع، بل يزداد قوة وانتشارًا.

دور باكستان في إشعال الصراعات القومية بواسطة الميليشيات

سلمان ترين

مـن أخطـر الجوانـب، وفـي الوقـت نفسـه مـن أكثرهـا خفـاءً، فـي سياسـات النظـام العسـكري الباكسـتاني فـي المنطقـة، محاولتـه إحـداث شـقاق قومـي بيـن البشـتون والبلـوش. ويُنفّـذ هـذا النهـج بواسـطة جماعـات الشـر والإفسـاد، ولا سـيما المليشـيات السـابقة، ويُبـرّر ظاهريـاً بذريعـة احتـواء معارضـي الحكومـة المركزيـة؛ إلا أنـه فـي الحقيقـة مخطـط لإضعـاف المقاومـة القائمـة فـي مواجهـة الظلم البنيوي والسياسات التمييزية التي ينتهجها هذا النظام.

يـدرك النظـام العسـكري الباكسـتاني جيـداً أنـه إذا اتحـد البشـتون والبلـوش فـي مواجهـة السياسـات الظالمـة للحكومـة المركزيـة، فـإن اسـتقرار البـلاد سـيواجه تهديـداً جديـاً. ولهـذا السـبب، اعتمـد هـذا النظـام منـذ عقـود اسـتراتيجية «فـرّق تسـد»، ويحـاول بواسـطة جماعاتـه الموالـية تأجيـج خلافـات مصطنعـة بيـن هذيـن الشـعبين الكبيريـن، بهـدف إخفـاء المشـكلات الأساسـية للمناطـق المحرومـة تحـت مسـمى النزاعـات القوميـة، والتنصـل مـن مسـؤوليته عـن الظلـم البنيـوي والسياسـات التمييزيـة التي ينتهجها.

إن البشـتون والبلـوش، وهمـا مـن أكبـر الشـعوب القديمـة فـي المنطقـة، لـم يكونـا عبـر التاريـخ عدويـن لبعضهمـا فحسـب، بـل عاشـا فـي مراحـل تاريخيـة عديـدة بوصفهمـا حليفيـن طبيعييـن. وقـد أسـهمت الزيجـات بيـن القبائـل والتبـادلات الاقتصاديـة والقيـم اللغويـة والثقافيـة المشـتركة فـي توثيـق العلاقـات بيـن الشـعبين إلـى درجـة تجعـل أي محاولـة لإثـارة العـداء بينهمـا متعارضـة بوضـوح مـع الحقائق التاريخية والاجتماعية للمنطقة.

إن حالـة الاسـتياء والسـخط الراهنـة لـدى البشـتون والبلـوش هـي نتيجـة السياسـات التمييزيـة للحكومـة المركزيـة الباكسـتانية، وليسـت نتيجـة خلافـات قوميـة. فالحرمـان مـن الحقـوق الاقتصاديـة، وغيـاب المشـاريع الأساسـية فـي المناطـق المتخلفـة، وقمـع الحريـات السياسـية، وإقصـاء الزعمـاء والنخـب المحليـة عـن القـرارات المهمـة، والاسـتغلال الأحـادي للغـاز والنفـط فـي بلوشسـتان، وكذلـك للميـاه والمـوارد الطبيعيـة الأخـرى فـي المناطـق البشـتونية، كلهـا عوامـل أثـارت غضب الناس وسخطهم تجاه النظام العسكري الباكستاني.

إن هـذا الاسـتياء يمثـل ردة فعـل طبيعيـة ومشـروعة علـى الظلـم، ولـم يُفسّـر قـط علـى أنـه حـرب قوميـة، ولـن يُفسّـر كذلـك؛ إلا إذا حـاول الأعـداء، مـن خلال إثـارة الخلافات، تحريف هذه الحقيقة التاريخية.

ويحـاول النظـام العسـكري الباكسـتاني، بواسـطة جماعـات الشـر والإفسـاد، ولا سـيما المليشـيات السـابقة التـي لها سـجل طويـل مـن الجرائـم بحـق شـعوبها، تأجيـج الخلافات القومية.

وتتمثـل طريقـة تنفيـذ هـذه السياسـة فـي أن الأشـخاص المرتبطيـن بهـذه الجماعـات فـي المناطـق ذات الأغلبيـة البلوشـية يمارسـون أعمـالاً تـؤدي إلـى تهيئـة الظـروف لتدخـل الجيـش الباكسـتاني، مـن خلال إثـارة انعـدام الأمـن والسـرقات وعمليـات الاختطـاف والأنشـطة التخريبيـة. وبعـد ذلـك يقـدم الجيـش تدخلـه للشـعب وللعالـم تحـت ذريعـة قمـع الإرهابييـن وتطهيـر المنطقـة، فـي حيـن أن كثيـراً ممـن يُسـمّون إرهابييـن إمـا أعضـاء فـي هـذه الجماعـات الموالـية نفسـها، أو أشـخاص أبريـاء جـرى اتهامهم ظلماً.

وفـي المناطـق البشـتونية، تقـوم هـذه الجماعـات أيضـاً بتنفيـذ هجمـات علـى المواقـع العسـكرية والمنشـآت الحكوميـة، وبذلـك تمنـح الجيـش ذريعـة لتنفيـذ عمليـات عسـكرية واسـعة ضـد البشـتون. وعلـى المسـتوى الإعلامـي والسياسـي كذلـك، يصـور باكسـتان، مـن خلال حمـلات دعائيـة واسـعة، حالـة انعـدام الأمـن هـذه علـى أنهـا نزاعـات قوميـة، ويحـاول ترسـيخ تصـور مفـاده أن البشـتون والبلـوش أعـداء لبعضهم، وأن الحكومة المركزية هي الضامن الوحيد للسلام بينهم.

والهـدف الأساسـي مـن هـذه السياسـة هـو صـرف انتبـاه النـاس عـن الظلـم البنيـوي الـذي تمارسـه الحكومـة المركزيـة. فـإذا جـرى تقديـم مشـكلات بلوشسـتان والمناطـق البشـتونية علـى أنهـا نزاعـات قوميـة، فلـن يسـأل أحـد الحكومـة المركزيـة بعـد ذلـك: لمـاذا تعـد هـذه المناطـق مـن أكثـر مناطـق باكسـتان حرمانـاً؟ ولمـاذا تُنهـب مواردهـا الطبيعيـة لصالـح البنجـاب والسـند؟ ولمـاذا يعطـي الجيـش الأولويـة للقمـع العسـكري بدلاً من التنمية والإعمار؟

لكـن هـذه اللعبـة الخطيـرة لا تسـتطيع حـل مشـكلات باكسـتان، بـل تـؤدي إلـى توسـيع نطـاق انعـدام الأمـن ليشـمل المنطقـة بأكملهـا، كمـا تعـرض باكسـتان نفسـها لتحديـات خطيـرة. إن نشـر فكـرة وجـود نـزاع قومـي يتجاهـل الذاكـرة التاريخيـة لشـعوب المنطقـة؛ فالبشـتون والبلـوش يدركـون جيـداً مـن هـو عدوهـم الحقيقـي، ويعتبـرون أن أي أعمـال عنـف تنفذهـا هـذه الجماعـات الموالـية هـي نتيجة للسياسات الباكستانية، وليست نتاجاً للخلافات القومية.

كما أن هذه السياسة تعزز سلسلة العنف أكثر فأكثر، وتزرع لدى الجماعات ذهنية مفادها أن القوة والعنف هما السبيل الوحيد لحل المشكلات. والجماعات التي تُستخدم اليوم ضد البشتون والبلوش قد تؤجج غداً صراعات داخلية في باكستان نفسها.

إن الادعاء بوجود خلاف قومي بين البشتون والبلوش هو ادعاء سياسي كاذب كبير اختلقه النظام العسكري الباكستاني لتبرير ظلمه البنيوي. فالبشتون والبلوش كلاهما ضحايا لسياسة تمييزية واحدة، ومشكلتهم الأساسية ليست مع بعضهم البعض، وإنما مع الحكومة المركزية الباكستانية وسياساتها القمعية.

وإدراكاً لهذه الحقيقة، شدد الإمارة الإسلامية دائماً على وحدة الشعوب وتضامن شعوب المنطقة، ولن تسمح أبداً لمؤامرات الأعداء بأن تلحق الضرر بالعلاقات التاريخية والمتينة بين الشعوب. إن وعي الشعوب، والوحدة والانسجام بين القوميات، يمثلان الطريق الأكثر فاعلية وأساساً لإفشال مثل هذه المؤامرات الخبيثة.

مقتل القاضي عبد الحكيم كاكار، المعارض الشرس لجهاز مكافحة الإرهاب (CTD)، على يد داعش؛ ما هي الحقائق الكامنة خلف الستار؟

د. فرحان كاكار

لطالما اقترن تاريخ بلوشستان بالجبال الوعرة، والأسرار السياسية العميقة، والقصص المكتوبة بالدماء. إلا أن الحادثة التي وقعت مؤخراً في منطقة "ولي خان" بمديرية مستونغ، دفعت بالديناميكيات العسكرية والتناقضات الجيوسياسية وحرب السرديات في المنطقة إلى مرحلة باتت فيها الحدود الفاصلة بين الصديق والعدو ضبابية للغاية.

إن اغتيال قاضي المحكمة الجزئية والابتدائية، عبد الحكيم كاكار، لا يمثل مجرد تصفية لشخصية قضائية، بل هو مؤشر صارخ على الأزمة العميقة التي يغرق فيها الهيكل الأمني والسياسي في بلوشستان يوماً بعد يوم.

ولو أمعنا النظر في خلفية هذه الحادثة ودوافعها والحقائق التي تكشفت لاحقاً، لظهر لنا مشهد صادم مليء بالتناقضات، يفسر الكثير من أسباب الأزمات الراهنة التي تعصف بباكستان.

تبدأ هذه القصة من قاعة المحكمة الابتدائية في "كيتش" (تربت)، حيث رفع القاضي عبد الحكيم كاكار لواء سيادة القانون والدستور؛ وهو موقف نادراً ما يُتوقع في بيئة حساسة ومذعورة كما هو الحال في بلوشستان، ففي نوفمبر 2023، ادعى جهاز مكافحة الإرهاب (CTD) أنه قتل أربعة "إرهابيين" خلال اشتباك في تربت، من بينهم شاب يدعى "بالاش بلوش".

احتج أقارب الشاب بوضع جثمانه في الشارع ونظموا اعتصاماً، مؤكدين أن "بالاش" اعتُقل من منزله قبل أيام من "الاشتباك المزعوم"، مما يعني أن العملية لم تكن مواجهة أمنية بل كانت عملية تصفية خارج نطاق القضاء، وعندما عُرضت القضية على محكمة القاضي عبد الحكيم كاكار، لم يكتفِ كغيره من القضاة التقليديين بتجاهل الادعاءات المكتوبة للأجهزة الأمنية، بل رفض التصديق عليها أو التوقيع عليها دون إجراء تحقيق مستقل.

لقد طالب القاضي جهاز مكافحة الإرهاب (CTD) بتقديم أدلة دامغة وموثقة لإثبات ما وصفه بـ "المواجهة الشرطية" المزعومة، وعندما عجز الجهاز عن إثبات أن "هذا القتل قد تم وفقاً للقانون"، اتخذ القاضي خطوة قانونية شجاعة وغير

مسبوقة، حيث أمر الشرطة بتسجيل بلاغ رسمي (FIR) بتهمة القتل ضد ضباط جهاز مكافحة الإرهاب المعنيين.

كان هذا القرار بمثابة ضربة وضعت الأجهزة الأمنية تحت ضغط شديد، وفي المقابل، جعل من القاضي عبد الحكيم كاكار صوتاً موثوقاً للمطالبة بالعدالة لمن اعتبروا أنفسهم مظلومين.

ولم يتوقف الموقف القانوني للقاضي عند هذا الحد؛ فكلما طلبت الأجهزة الأمنية إذناً أو أمراً من محكمته لاعتقال شخص مشتبه به، أو احتجازه، أو تفتيشه، كان القاضي عبد الحكيم كاكار يخضع طلباتهم للفحص الدقيق استناداً إلى صحيح القانون.

وكان يقول بعبارات واضحة: "إن المحاكم لم تُوجد لتكون مجرد أداة للمصادقة على الإجراءات غير القانونية للأجهزة، أو لتسهيل إخفاء المواطنين دون وجود أدلة"، وبسبب غياب الأدلة القاطعة، رفض مراراً طلبات جهاز مكافحة الإرهاب (CTD) لإصدار مذكرات توقيف، وأمر بإطلاق سراح العديد من المعتقلين.

ولهذا السبب، أصبح القاضي عبد الحكيم كاكار يمثل تحدياً مستمراً للأجهزة الأمنية النشطة في بلوشستان، وخاصة جهاز مكافحة الإرهاب؛ إذ اعتُبر عقبة قانونية رئيسية أمام الإجراءات التي تخرج عن نطاق القانون.

أما الآن، فلننظر إلى الوجه الآخر للصورة، المرتبط بصراع دامي ومختلف تماماً في جبال مستونغ.

منذ فترة طويلة، تنشط في بلوشستان مجموعات مسلحة قومية بلوشية، مثل "جيش تحرير بلوشستان" (BLA)، وفي المقابل، تحاول تنظيم "داعش - ولاية خراسان" (ISKP) توسيع نفوذها في المنطقة، وفقاً لتقارير وادعاءات مختلفة.

في مارس 2025، ادعى جيش تحرير بلوشستان أنه شن هجوماً على مخيم تدريب سري تابع لداعش في منطقة مستونغ، وأسفر الهجوم عن مقتل أكثر من ثلاثة مقاتلين من تنظيم داعش. ولاحقاً، في يونيو 2025، أصدر تنظيم داعش مقطع فيديو يشير فيه إلى هذا الهجوم ويعلن الحرب على جيش تحرير بلوشستان، وزعم جيش تحرير بلوشستان في هذا الصدد أن عناصر داعش في مستونغ كانوا يجمعون معلومات عن المقاتلين البلوش بتوجيه من أجهزة الاستخبارات الباكستانية، لتمكين الجيش الباكستاني من تنفيذ عمليات نوعية ضدهم.

واللافت للنظر هو أنه عندما ألحق جيش تحرير بلوشستان خسائر فادحة بداعش في مستونغ، غابت التغطية الإعلامية الباكستانية لهذا الحدث تماماً؛ والسبب في ذلك هو رغبة الحكومة في عدم منح جيش تحرير بلوشستان امتياز الظهور

بمظهر القوة القادرة على هزيمة تنظيم إرهابي دولي، ولكن بعد فترة وجيزة، عندما بدأ تنظيم داعش هجماته الانتقامية ضد جيش تحرير بلوشستان، استقبل المؤيدون للحكومة الباكستانية عبر حسابات متعددة على وسائل التواصل الاجتماعي واليوتيوبرز وبعض المحللين هذه الهجمات بالترحاب، وصوروها على أنها دليل على ضعف جيش تحرير بلوشستان وإنجاز كبير للدولة.

هنا يبرز التناقض الكبير والصادم الأول، الذي يكشف عن التضاربات في سردية الجيش الباكستاني ومؤيديه. ففي خضم مشاعر العداء تجاه "جيش تحرير بلوشستان"، تناسى المؤيدون الدوائر الحكومية في باكستان أن الموقف الرسمي للدولة كان دائماً يؤكد عدم وجود أي وجود منظم أو قواعد آمنة لتنظيم "داعش" داخل البلاد، ولكن، عندما بدأت حسابات مؤيدي الجيش على وسائل التواصل الاجتماعي بالترحيب بهجمات داعش، فقد أعطوا انطباعاً ضمنياً بأن تنظيم داعش يمتلك وجوداً منظماً وقوياً في باكستان لدرجة تمكنه من إلحاق الضرر بشبكة جماعة مسلحة كبيرة مثل جيش تحرير بلوشستان.

إن الاحتفاء بالانتصارات العسكرية لجماعة إرهابية دولية، وفق منطق "عدو عدوي هو صديقي"، يتصادم تماماً مع السردية الرسمية التي دأبت الأجهزة الأمنية على تقديمها لسنوات طويلة.

وفي السياق ذاته، يوضع موضع التساؤل الموقف التقليدي الذي لطالما روجت له "مديرية العلاقات العامة التابعة للجيش الباكستاني" (ISPR)؛ وهو وجود نوع من التفاهم أو التنسيق الخفي بين جميع الجماعات المسلحة التي تحارب باكستان، سواء كانت بلوشية أو متشددة دينياً.

إلا أن الاشتباكات الدموية بين جيش تحرير بلوشستان وداعش تثبت عدم وجود أي اتفاق، سواء كان رسمياً أو غير رسمي، بل إن الطرفين خصمان لدودان أيديولوجياً وعسكرياً. لقد كانت محاولة الدولة تصوير جميع الجماعات المسلحة ككتلة واحدة مجرد استراتيجية بروباغندا لكسب التعاطف الدولي، تهدف إلى ربط الحركة البلوشية بتنظيم داعش لتشويه سمعتها عالمياً وإضعاف الانتقادات الموجهة لانتهاكات حقوق الإنسان. لكن هذه التناقضات تصل إلى ذروة حساسيتها وصدمتها عند مقتل القاضي عبد الحكيم كاكار في مستونغ، وإعلان داعش مسؤوليتها عن الهجوم.

وفقاً للموقف المعلن لتنظيم داعش، فإن الجماعة تعادي الحكومات والأفراد والمحاكم التي تعمل بناءً على الديمقراطية والقوانين والدساتير التي وضعها

البشر. وبما أن القاضي عبد الحكيم كاكار كان يؤدي مهامه بموجب هذا الدستور الديمقراطي، فإنه منطقياً قد يقع ضمن أهداف داعش المحتملة. غير أن التناقض الملحوظ يكمن في أن هذا القاضي نفسه كان يعارض في تلك الفترة إجراءات الأجهزة الأمنية الباكستانية التي تُعتبر خارج نطاق القانون، وكان يرفض إصدار الأحكام التي تتماشى مع أهوائهم.
لقد كان موقف القاضي هذا يصب، بشكل غير مباشر، في مصلحة أولئك الذين يعتبرون أنفسهم ضحايا لضغوط الدولة وظلمها، ولم يرد أي ذكر سابق لوجود خلافٍ شخصي أو صراع مباشر بين القاضي وداعش، فلماذا استهدف تنظيم داعش قاضياً يمثل موقفه القضائي إزعاجاً للأجهزة الأمنية؟
هذا السؤال هو الذي يشكل الركيزة التي يستند إليها بعض الأوساط السياسية البلوشية، والمحللون المستقلون، ووسائل الإعلام، في ادعائهم بأن تنظيم داعش يعمل في بلوشستان كـ "وكيل" (PROXY) للأجهزة الأمنية. إن الخسارة الأكبر لمقتل القاضي عبد الحكيم كاكار لحقت بسيادة القانون والعدالة، ولكن، من وجهة نظر هؤلاء، فإن المستفيد الأكبر كانت الأجهزة الأمنية التي اعتبرها القاضي - عبر أوامره بتسجيل قضايا قانونية ضد عناصرها - تتصرف خارج إطار الشرعية.

لو أدت حادثة مقتل القاضي عبد الحكيم كاكار إلى نقل كافة الشكوك وسخط الشارع نحو الأجهزة الأمنية، فإن إعلان تنظيم داعش مسؤوليته عن الهجوم بشكل فوري، قد مهد الطريق -بشكل غير مباشر- لتقليل الشكوك المحيطة بجهاز مكافحة الإرهاب (CTD) والجيش الباكستاني. ومن التناقضات المثيرة للتأمل أن تقوم جماعة تعلن عداءها المطلق للديمقراطية، بخطوة تخدم في الواقع المصالح الأمنية للنظام الديمقراطي وتسهّل موقف تلك الأجهزة.
إن النتيجة الأكثر مرارة لهذا المشهد برمته هي أن الصراع المستمر في بلوشستان -والذي يبدو فيه تنظيم داعش والجيش والأجهزة الأمنية الباكستانية كطرف واحد- قد وصل إلى مرحلة تواجه فيها السرديات الرسمية للدولة تساؤلات وجودية وجادة.

فإذا كانت الأجهزة الأمنية الباكستانية تستخدم تنظيم داعش بالفعل كـ "قوة وكيلة" (PROXY) لتحقيق أهدافها الاستراتيجية وسحق خصومها على المدى القصير، وهم القوميون البلوش، فإن هذا التنظيم لن ينتهي أثره في باكستان أبداً.

إن الإرهـاب يشـبه الأفعـى؛ لا يمكـن للإنسـان أن يربـي أفعـى لمجـرد أنهـا سـتلدغ جاره، لأنها يوماً ما ستلدغ مربيها أيضاً ".

إن مقتـل القاضـي عبـد الحكيـم كاكار ليـس إلا نموذجـاً لهـذه السياسـة؛ إذ إن هـذه "القـوة الوكيلـة" هاجمـت فـي نهايـة المطـاف أحـد أعمـدة الدولـة، وهـو القضـاء. وطالمـا أن الجيـش والأجهـزة الأمنيـة الباكسـتانية لا تـؤدي واجباتهـا القانونيـة علـى أكمـل وجـه، ولا تعتبـر الشـعب ثـروة حقيقيـة لهـا، وتسـتمر فـي السـعي وراء أهدافهـا الفاسـدة عبـر حـروب البروباغنـدا، فسيسـتمر التضحيـة بأشـخاص مثـل القاضـي عبـد الحكيـم كاكار، حمـاة القانـون والشـعب، وسيسـتمر جهـاز مكافحـة الإرهـاب (CTD) -باعتبـاره مؤسسـة مدانـة- فـي محاولاتـه الفاشـلة للاختبـاء خلـف سـتار إعلان داعش مسؤوليتها عن الهجمات.

لماذا فشلت وكالة الاستخبارات المركزية (CIA) في أفغانستان؟ تقرير خاص للجزيرة

لطف الله خيرخواه

«يعتقد بعض الناس أن الولايات المتحدة قادرة على فعل كل ما تريده، لأنها وصلت إلى القمر. فإذا لم تكن قادرة على القيام بعمل ما، أو كانت مواردها محدودة، أو عجزت عن إنجازه بسبب مشكلة إدارية، فإنها تقول بعد ذلك: لم نكن نريد القيام به أصلًا، ولذلك لم نفعله».

كتب الجنرال بيتر تشياريلي هذه العبارة في مقال نشرته النسخة العربية من مجلة الجيش الأمريكي «العرض العسكري» خلال فترة الحربين في أفغانستان والعراق. وتعكس هذه العبارة التصورات الشائعة المنتشرة في العالم حول القدرات الهائلة للولايات المتحدة، وهي تصورات تزداد رسوخًا عندما يدور الحديث عن نفوذ أجهزة الاستخبارات الأمريكية في الأحداث الكبرى.

ومن جهة أخرى، وكما يتضح من كتاب روبرت غريفز «لماذا تفشل الاستخبارات؟ دروس من الثورة الإيرانية والحرب العراقية»، فإن كبار المسؤولين في أجهزة الاستخبارات والمتخصصين في الدراسات الاستخباراتية أنفسهم يتحدثون عن تأثير الأجهزة الاستخباراتية بنبرة أكثر تواضعًا وتحفظًا. ويُعدّ «الفشل الاستخباراتي» أحد العناوين الجانبية المهمة في هذه الدراسات.

وقبل بضعة أسابيع، نشر الصحفي الاستقصائي تيم وينر كتابه الجديد «المهمة: الاستخبارات الأمريكية في القرن الحادي والعشرين». وهو متخصص في مجال الاستخبارات منذ عام 1988. وفي عام 2007 فاز كتابه «إرث الرماد» بجائزة الكتاب الوطنية الأمريكية. وقد تناول في ذلك الكتاب السنوات الستين الأولى من تاريخ وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA)، مستندًا إلى عدد كبير من الوثائق التي رُفعت عنها السرية، وإلى مقابلات مباشرة أجراها مع نحو 200 من الرؤساء السابقين والضباط وكبار المسؤولين.

وفي هذا التقرير، سنبحث في فشل الاستخبارات الأمريكية في أفغانستان، وهو الفشل الذي واجهته خلال أطول حرب في تاريخ الولايات المتحدة، أي الحرب التي امتدت من 2001 إلى 2021.

تغيّر مهام الاستخبارات الأمريكية

وقبل الدخول في تفاصيل الفشل الاستخباراتي في أفغانستان، نستمع أولًا إلى

ريتشـارد هيلمـز، أحـد مؤسسـي وكالـة الاسـتخبارات المركزيـة الأمريكيـة (CIA)، والـذي تـدرج فـي هـذه الوكالـة حتـى وصـل إلـى أعلـى المناصـب فيهـا. وقـد شـغل منصـب مديـر الوكالـة لمـدة سـبع سـنوات خلال عهـدي الرئيسـين ليندون جونسون وريتشارد نيكسون.
وأعفي لاحقًا من منصبه بسبب معارضته للتستر على فضيحة ووترغيت.

وقعت فضيحة ووترغيت في سبعينيات القرن الماضي خلال عهد الرئيس ريتشارد نيكسون. فقد كان نيكسون قد وضع أجهزة لتسجيل الأصوات داخل البيت الأبيض، واكتشفت أجهزة الاستخبارات هذه الأجهزة في نهاية المطاف، فتحولت القضيـة إلـى فضيحـة محرجـة لنيكسـون. وبعـد انكشـاف القضيـة، اسـتقال نيكسون من رئاسة الولايات المتحدة.
ويشـرح هيلمـز هـدف تأسـيس وكالـة الاسـتخبارات المركزيـة علـى النحـو الآتـي: «فـي البدايـة، أي فـي عـام 1947، كانـت المهمـة هـي معرفـة العالـم بصـورة عامـة، ومعرفة العدو بصورة خاصة، ومنع وقوع هجوم آخر من نوع هجوم بيرل هاربر في المستقبل».
وكان هجوم بيرل هاربر قد وقع عام 1941 عندما شنت اليابان هجومًا مفاجئًا على القاعدة الجوية الأمريكية، مما أدى إلى مقتل نحو 2400 أمريكي. وقد وصف الرئيس الأمريكي آنذاك فرانكلين روزفلت ذلك اليوم بأنه يوم مشين في تاريخ الولايات المتحدة.
ويضيف هيلمز: «كانت الفكرة تتمثل في إنشاء وكالة تمنح المحللين القدرة على النظر إلى كل شيء من مسافة بعيدة، مهما كان ذلك الشيء سريًا أو مخفيًا. كان الجواسيس يحصلون على أسرار الكرملين، ثم يقوم المحللون الأكاديميون بتحليلها، وبعد ذلك كان المديرون يقدمون تقاريرهم إلى الرئيس الأمريكي.
في البداية، لم نكن نعرف شيئًا تقريبًا. كانت معرفتنا بخطط الطرف المقابل ونواياه وقدراته معدومة أو تكاد تكون معدومة. فإذا عثرنا على دليل على مكالمة هاتفية أو على خريطة لمطار، كان ذلك بالنسبة إلينا أمرًا بالغ الأهمية. لقد كنا نجهل الكثير من مناطق العالم جهلًا تامًا».
وعندما بدأت الحرب الباردة، تغيرت مهمة وكالة الاستخبارات المركزية، وبحلول نهاية عام 1949 أصبح إسقاط الشيوعية الهدف الرئيسي لها. ومن ثم تراجعت مهمة معرفة العالم إلى المرتبة الثانية، وحل محلها نهج يقوم على محاولة تغيير العالم من خلال العمليات السرية.

وبدأت وكالة الاستخبارات المركزية في إنشاء فروع تعمل على وضع خطط للانقلابات العسكرية، كما حدث في إيران ضد حكومة محمد مصدق، أو تمكّنها من شراء النفوذ داخل الأحزاب السياسية والشخصيات البارزة واتحادات رجال الأعمال، كما حدث في إيطاليا واليونان، بهدف هزيمة الأحزاب الشيوعية في الانتخابات.

كما قامت الوكالة بإدخال عناصر معارضة بالمظلات إلى روسيا وبولندا وأوكرانيا والصين وكوريا الشمالية، لتنفيذ مهام التجسس والتخريب.

إضافة إلى ذلك، دعمت وكالة الاستخبارات المركزية عمليات اغتيال قادة أجانب، مثل رئيس الوزراء الكونغولي باتريس لومومبا عام 1961، والرئيس التشيلي سلفادور أليندي عام 1973.

وتعرضت وكالة الاستخبارات المركزية لفضيحة كبيرة بسبب فشل عملية خليج الخنازير. وكان الهدف من العملية أن يقوم معارضون كوبيون مسلحون بغزو كوبا. كما فشلت، بناءً على توجيهات الرئيس جون كينيدي، محاولة اغتيال الرئيس الكوبي فيدل كاسترو. بل إن كينيدي نفسه اغتيل على يد الشاب الأمريكي لي هارفي أوزوالد، الذي كانت له علاقات مشبوهة مع السوفييت والكوبيين.

ثم ظهرت فضيحة ووترغيت، حيث أساء نيكسون استخدام وكالة الاستخبارات المركزية للتجسس على خصومه السياسيين. وأدى ذلك إلى قيام الكونغرس الأمريكي في سبعينيات القرن العشرين بتشكيل لجنة خاصة لمراقبة أنشطة أجهزة الاستخبارات، وإجبار وكالة الاستخبارات المركزية على العودة إلى مهمتها الأساسية، أي معرفة العالم ومعرفة العدو.

وتعرضت قدرات وكالة الاستخبارات المركزية لضربة كبيرة أخرى عندما انهار الاتحاد السوفييتي عام 1991. ففي حين كانت تقارير تحليلية صادرة عن الوكالة في أواخر سبعينيات القرن العشرين قد توقعت أن تتراجع الولايات المتحدة أمام الاتحاد السوفييتي خلال عشر سنوات من حيث القوة العسكرية والنمو الاقتصادي، جاءت الأحداث بعكس ذلك تمامًا.

وأدى زوال العدو الشيوعي إلى إضعاف نفوذ وكالة الاستخبارات المركزية خلال تسعينيات القرن الماضي. وفي عهد الرئيس بيل كلينتون، خُفضت ميزانيتها بنحو 600 مليون دولار، وأغلقت أكثر من ثلاثين محطة خارجية، وغادر الوكالة قرابة خمسة آلاف شخص.

أما كبار المسؤولين في الأقسام الخاصة بالعمليات السرية، وتجنيد العملاء

الأجانب، واختراق أجهزة استخبارات الدول المعادية، ومكافحة الشبكات التي كانت تُصنّف تحت عنوان الإرهاب، فلم يتبقّ منهم سوى نحو ألف شخص.
ووفقًا لمدير الوكالة جورج تينيت، أصبح عدد عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI) في مكتب نيويورك أكبر من عدد جميع كبار مسؤولي وكالة الاستخبارات المركزية العاملين في الخارج.
وفي حديثه عن تلك المرحلة، قال نائب مدير وكالة الاستخبارات المركزية خلال الفترة 1989–1992، ريتشارد كير: «كان انهيار الاتحاد السوفياتي ضربة قاسية للاستخبارات الأمريكية. وبعد ذلك، لم يعد أي شيء كما كان من قبل». كما كتب ضابط الاستخبارات دوان كلاريدج بعد تقاعده عام 1997: «لقد انتهت الوكالة بوصفها جهازًا استخباراتيًا فعالًا، ولن تستعيد نشاطها إلا عندما تقع كارثة كبرى». وفي السياق نفسه، قال جورج تينيت في تقرير سري عام 1998: «إذا لم يحدث تغيير عميق وشامل في الطريقة التي تجمع بها الحكومة المعلومات الاستخباراتية وتحللها وتنتجها، فإن الولايات المتحدة ستواجه قريبًا فشلًا استخباراتيًا كبيرًا، جوهريًا ومدمرًا».

العراق هدفًا أوليًا:
يكتب تيم وينر أن الهجوم الذي شنته القاعدة عام 1998 على سفارتي الولايات المتحدة في كينيا وتنزانيا أظهر أن التنظيم يستطيع، انطلاقًا من مقره في أفغانستان وعلى بُعد ثلاثة آلاف ميل، استهداف هدفين في وقت واحد. وقد دفعت هذه الحادثة وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA) إلى البدء بتعقّب المشتبه في ضلوعهم في التفجيرات في مناطق مختلفة من أفريقيا والشرق الأوسط والبلقان.
وفي عام 1999، زوّدت وكالة الاستخبارات المركزية وزارة الدفاع الأمريكية بمعلومات خاطئة، فتم قصف السفارة الصينية في العاصمة الصربية بلغراد، بدلًا من مستودع عسكري صربي، مما أدى إلى مقتل ثلاثة أشخاص وإصابة عشرين آخرين.

بعد ذلك، فقد الرئيس بيل كلينتون ثقته بقدرات وكالة الاستخبارات المركزية وتقييماتها، وأجّل مرة أخرى خيار استهداف قيادة القاعدة في أفغانستان، ولم يسمح بشن مزيد من الهجمات على أفغانستان. وعندما تولى جورج بوش السلطة في بداية عام 2001، قال وزير الدفاع دونالد رامسفيلد بفخر: «هذه هي المرة الأولى منذ عقود التي لا تواجه فيها البلاد أي تهديد استراتيجي

كبير. ولسنا مضطرين إلى أن نستيقظ كل صباح ونحن نخشى أن تقع كارثة كبرى.»

وعندما كان مدير وكالة الاستخبارات المركزية جورج تينيت يعرض ملف تنظيم القاعدة في أفغانستان على الإدارة الجديدة، لم يُبدِ مجلس الأمن القومي أي رد فعل جاد، لأن إدارة بوش لم تكن تمتلك أي سياسة واضحة تجاه أفغانستان.

وكانت الشخصيات القديمة في الإدارة، مثل نائب الرئيس ديك تشيني ووزير الدفاع رامسفيلد، تشكّ في نوايا وكالة الاستخبارات المركزية. فقد كانت لهما خبرة تعود إلى عهد نيكسون، وكانا يخشيان من أن تكون الوكالة تدير مؤامرة من جانب الليبراليين بهدف إضعاف حكومة جمهورية. وكانا يعتقدان أن الحديث عن خطر تنظيم القاعدة قد يكون خدعة تهدف إلى إشغال البيت الأبيض والبنتاغون بقضايا ثانوية بدلًا من القضايا الحقيقية والملحّة.

في المقابل، كان ملف العراق يُناقش في أجندة مجلس الأمن القومي، منذ بداية عهد بوش، مرتين أو ثلاث مرات أسبوعيًا. وكان المنطق السائد هو أن إسقاط نظام صدام حسين سيجعل واشنطن مهيمنة على العالم العربي، وسيعزز أمن إسرائيل، كما سيؤدي إلى سقوط بقية ديكتاتوريات المنطقة واحدة تلو الأخرى، على طريقة أحجار الدومينو؛ إذ إن لعبة الدومينو تقوم على إسقاط حجر واحد، فتتساقط بعده الأحجار المتصلة به تباعًا.

وقد لعب رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك، بنيامين نتنياهو، دورًا مهمًا في الترويج لهذه الفكرة. وفي 4 أغسطس/آب 2001، أوصيت وكالة الاستخبارات المركزية بإعداد خطة تفصيلية لعملية سرية تهدف إلى إسقاط نظام صدام حسين.

ووضعت إحدى القواعد التابعة للوكالة، والتي كانت تقع في دولة مجاورة للعراق، خطة تقوم على إيهام صدام بوجود معارضة داخلية في بغداد، وأن أفرادًا من دائرته المقربة يتآمرون عليه. وكان الهدف هو دفع صدام إلى قتل بعض الموالين له، بذريعة إحباط انقلاب وهمي، وبالتالي إضعاف قبضته على جهاز الحكم. وبعد ذلك، كان من المفترض أن يتم إسقاط النظام من خلال تحريك جماعات معارضة في جنوب العراق وشماله.

أحداث سبتمبر وفخ أفغانستان

في 4 سبتمبر/أيلول 2001، ناقش مجلس الأمن القومي ملف تنظيم القاعدة، بعد ورود تحذيرات متكررة من أن هجومًا كبيرًا بات وشيكًا، دون أن يكون مكان الهجوم أو هدفه معروفًا.

وبعد أسبوع واحد، وقعت الهجمات التي استهدفت برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك ووزارة الدفاع الأمريكية «البنتاغون» في واشنطن.

وبعد ساعات من الهجمات، طلب وزير الدفاع رامسفيلد التحقيق فيما إذا كانت هناك، وفق المعلومات الاستخباراتية، أي صلة بين العراق وهذه الهجمات أم لا.
وفي اليوم التالي، وصل رئيس جهاز الاستخبارات الخارجية البريطاني (MI6)، ريتشارد ديرلوف، إلى واشنطن من لندن على متن طائرة خاصة، برفقة عدد من مساعديه. وقال لنظرائه الأمريكيين: «علينا أن نركز على أفغانستان، وألا نركز على أي شيء آخر.»
وكان هدفه إقناع إدارة بوش بالعدول عن غزو العراق.
وفي 15 سبتمبر/أيلول، وافق مجلس الحرب في كامب ديفيد على خطة وكالة الاستخبارات المركزية للرد على الهجمات. ونصت الخطة على تنفيذ عمليات ضد أعضاء تنظيم القاعدة والأشخاص المرتبطين به في 92 دولة.
وبالإضافة إلى ذلك، كان من المقرر تقديم مساعدات مالية ضخمة لأجهزة الاستخبارات الأجنبية والصديقة تحت عنوان ما سمّته الولايات المتحدة «الحرب العالمية على الإرهاب». وبموجب هذا الترتيب، كان الأمريكيون سيقدمون الأموال والأسلحة وأجهزة التنصت، بينما تقوم الأجهزة الاستخباراتية الصديقة بمداهمة المنازل واعتقال أو قتل الأشخاص المشتبه في تورطهم في الإرهاب.
أما الخطة المتعلقة بأفغانستان، فكانت تقوم على تقديم الأموال والدعم إلى قادة المعارضة في «التحالف الشمالي» من أجل القضاء على أسامة بن لادن وشبكته وإسقاط حكومة طالبان.
وهكذا عادت وكالة الاستخبارات المركزية مرة أخرى إلى نهج العمليات السرية، وانتقلت من مجرد التجسس والتحليل إلى التدخل المباشر.
وكانت التقارير الكاذبة التي قدمتها الوكالة بشأن وجود أسلحة دمار شامل في العراق أحد الأسباب التي استخدمتها الولايات المتحدة لتبرير غزو العراق واحتلاله.
وفي ذلك الوقت، أصر وزير الخارجية الأمريكي على ضرورة محاولة إقناع طالبان، أولًا عبر الوسائل الدبلوماسية، بتسليم بن لادن، ثم البدء بالحرب إذا فشلت الدبلوماسية. لكن الرئيس بوش قال: «ليكن الأمر واضحًا: لن نولي الدبلوماسية أي اهتمام، نحن ذاهبون إلى الحرب.» وعندما اطّلع البريطانيون على الخطة الأمريكية، سأل مارك ألن، رئيس قسم مكافحة الإرهاب في جهاز MI6:
«ماذا سنفعل بعد أن ننهي الحرب في أفغانستان وينتشر أعضاء القاعدة في أنحاء العالم الإسلامي؟»
وبحسب وينر، لم يكن لدى الأمريكيين أي جواب عن هذا السؤال.
وقد تمكنت قوات التحالف الشمالي، مدعومة ببضع مئات من عناصر الاستخبارات الأمريكية والقوات الخاصة، من إسقاط حكومة طالبان. لكن

سـؤالًا كبيـرًا سـرعان مـا بـرز: مـاذا سـيحدث بعـد ذلـك؟ وينقـل وينـر فـي كتابـه أن الجنـرال ريتشـارد مايـرز، رئيـس هيئـة الأركان المشـتركة، قـال: «كانـت المهمـة التـي أسـندت إلينـا فـي أفغانسـتان هـي: الدخـول، وملاحقـة تنظيـم القاعـدة، ثـم الخـروج مـن أفغانسـتان... وقـال الرئيـس بـوش: نحـن لـم نذهـب إلـى هنـاك لبنـاء دولـة». كمـا قـال ريتشـارد هـاس، مديـر إدارة تخطيـط السياسـات فـي وزارة الخارجيـة الأمريكيـة: «لم تكن لدينا أي فكرة عمّا سنفعله بعد إسقاط طالبان.»

وعندما اقترح حامد كرزاي، الذي نصبته وكالة الاستخبارات المركزية، توقيع اتفـاق سلام ومصالحـة مـع طالبـان، عـارض وزيـر الدفـاع رامسـفيلد ذلـك. وكان منطقـه أن الولايـات المتحـدة لا تريـد السـلام، بـل تريـد خـوض حـرب ضـد الإرهـاب. واسـتمرت الحـرب قرابـة عشـرين عامًـا، وفـي نهايـة المطـاف، وُقّعـت اتفاقيـة السـلام مـع طالبـان فـي الدوحـة عـام 2020. ثـم عـادت طالبـان إلـى السـلطة، بينمـا أعـادت الفوضـى التـي رافقـت انسـحاب القـوات الأمريكيـة، أمـام أنظـار العالـم، مشـاهد شـبيهة بتلـك التـي شـهدها العالـم ذات يـوم أثنـاء انسـحاب الأمريكييـن مـن مدينـة سايغون، عاصمة فيتنام.

الاستخبارات الفاشلة

بعـد الانسـحاب، تحـدث مسـؤولون أمريكيـون سـابقون رفيعـو المسـتوى عـن الفشـل، وحمّلـوا وكالـة الاسـتخبارات المركزيـة (CIA) جـزءًا مـن المسـؤولية الكبـرى عنـه. وقـال سـتيفن هادلـي، مستشـار الأمـن القومـي السـابق خلال الولايـة الثانيـة للرئيـس جـورج بـوش (2005–2009)، إن فسـاد النظـام الأفغانـي الجديـد كان أكبر وسيلة لجذب عناصر طالبان. ويشرح وينر مصدر هذا الفساد قائلًا:

«كان جوهـر الفسـاد يكمـن فـي الطريقـة التـي أدارت بهـا وكالـة الاسـتخبارات المركزيـة عملياتهـا فـي أفغانسـتان. كانـوا يتعاملـون مـع أكـوام مـن أوراق الـدولار مـن فئـة المئـة دولار. وكانـوا بارعيـن جـدًا فـي توزيـع أكيـاس الأمـوال، والسـيارات الجيـب الجديـدة، والتواصـل السـريع مـع المتعاونيـن عبـر الأقمـار الصناعيـة... لكـن عندمـا كان الأمـر يتعلـق بفهـم الواقـع، ومعرفـة مـا الـذي يجـري ومـا الـذي يريدونـه فـي المستقبل، كانت النتيجة صفرًا.»

أمـا روبـرت غيتـس، الـذي بـدأ عملـه محللًـا فـي وكالـة الاسـتخبارات المركزيـة عـام 1966، ثـم أصبـح مديـرًا للوكالـة خلال الفتـرة 1991–1993، وشـغل منصـب وزيـر الدفـاع من 2006 إلى 2011، ويُعد من أكثر مديري الوكالة خبرة ومهنية، فيقول:

«الحقيقـة هـي أننـا لـم نكـن نملـك معلومـات كثيـرة عـن تنظيـم القاعـدة عنـد وقـوع أحـداث 11 سـبتمبر. وهـذا هـو السـبب فـي أن العديـد مـن الأمـور حدثـت، مثـل

الاستجوابات التي تضمنت التعذيب، لأننا لم نكن نعرف شيئًا. ولو كانت لدينا قاعدة بيانات متينة، وكنا نعرف تنظيم القاعدة معرفة كاملة، ونعرف ماهيته وقدراته وغير ذلك، فربما لم تكن هناك حاجة إلى كثير من تلك الإجراءات. لكن الحقيقة هي أننا تعرضنا لضربة من جانب جماعة لم تكن لدينا عنها أي معلومات.»

وتُظهر تقييمات هادلي وغيتس أن وكالة الاستخبارات المركزية أخفقت في مهمتها الأساسية: معرفة العدو وفهمه. ووفق تعبير مديرها السابق ريتشارد هيلمز، كان هذا الفشل أشبه بفقدان الوكالة القدرة على منع وقوع «بيرل هاربر» أخرى.

إن جوهر العمل الاستخباراتي لا يقتصر فقط على تعقّب الأشخاص أو تفكيك التنظيمات المعادية، بل إن الهدف الأساسي منه هو تزويد صانعي القرار بالمعلومات والتحليلات التي تقدم صورة متكاملة للمشهد، وتتيح تقييم التهديدات بدقة، والتعرف على الفرص المتاحة. ويُطلق على هذا النوع الاستخبارات الاستراتيجية، وعلى أساسها تُتخذ القرارات الكبرى وتُبنى السياسات بعيدة المدى.

أما العمليات الخاصة، مثل الاغتيال والتصفية والاعتقال، فهي جزء من الاستخبارات التكتيكية. وعلى الرغم من أنها قد تحقق أحيانًا نجاحات واضحة ومباشرة، فإنها لا تكفي وحدها لكسب الحروب.

لقد نفذت أجهزة الاستخبارات الأمريكية آلاف العمليات التكتيكية، واغتالت زعيم طالبان الثاني، الملا أختر منصور، واعتقلت آلافًا من عناصر طالبان، ولاحقت أفراد تنظيم القاعدة واحدًا تلو الآخر. لكن هذه النجاحات المتفرقة لم تمنع الهزيمة الكبرى؛ إذ انهار، قبل أربع سنوات، خلال بضعة أيام من أغسطس/آب 2021، كل ما بُني في أفغانستان طوال عشرين عامًا.

أنفقت الولايات المتحدة خلال عقدين مئات المليارات من الدولارات في أفغانستان، لكن أجهزتها الاستخباراتية لم تتمكن من إنتاج المعرفة الكافية لفهم التركيبة المعقدة للمجتمع الأفغاني، أو التنبؤ بمسار الحرب ومستقبلها.

ويضيف الفشل الأمريكي في أفغانستان فصلًا استراتيجيًا جديدًا إلى السجل الطويل من الإخفاقات الاستخباراتية، ويطرح أسئلة عميقة:

هل تستطيع قوة عظمى في القرن الحادي والعشرين أن تحوّل تفوقها الهائل في القوة الصلبة إلى انتصارات فعلية على أرض الميدان، أم أن التفوق العسكري وحده لا يكفي لتحقيق النصر؟

إن شـرف الامـة الاسلاميـة وعزتهـا مرتبطـان
بحبر اقلام علمائها وبدماء شهدائها.

الشهيد عبد الله عزام رحمه الله

ALMERSAAD

Almirsad_Arbic Almirsad_Arbic almirsadar.com